

الحراك الشعبي والأوليغارشية المستبدة..

هل سيتمكن الجيل الثوري الجديد من انتاج دولة مدنية في العراق ؟



د. دهام محمد العزاوي

مستشار سياسي- وزارة التخطيط



الحراك الشعبي والأوليغارشية المستبدة..

هل سيتمكن الجيل الثوري الجديد من انتاج دولة
مدنية في العراق ؟

تأليف

د. دهام محمد العزاوي

مستشار سياسي- وزارة التخطيط

شباط (فبراير) 2022

الحراك الشعبي والأوليغارشية
المستبدة..
هل سيتمكن الجيل الثوري الجديد من
انتاج دولة مدنية في العراق؟

تأليف

د. دهام محمد العزاوي
مستشار سياسي- وزارة التخطيط

الطبعة الأولى 2022 م

القياس: 21×14.5

عدد الصفحات: 61

رقم الإيداع: (392) لسنة 2022

ISBN: 978-9922-675-14-5

نشر وتوزيع

مركز الرافدين للحوار RCD



مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center for Dialogue
R. C. D.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز الرافدين للحوار RCD
لا يجوز النسخ أو إعادة النشر من دون موافقة خطية من المركز

المحتويات

الصفحة	الموضوع
7	نبذة عن مركز الرافدين للحوار
13	المقدمة
15	اهمية الدراسة
16	منهج الدراسة
16	هيكلية الدراسة
18	اولاً: الشعبوية وحدود المفهوم
21	ثانياً: القيم الثقافية وانتشار الشعبوية
23	ثالثاً: دوافع الحراك الشعبي في العراق
27	رابعاً: جيل شعبي جديد
31	خامساً: مخرجات الحراك الشعبي ونتائجه
35	سادساً: خصائص الحراك الشعبي في العراق
44	سابعاً: مشاهد ما بعد الحراك
51	الخاتمة والاستنتاجات
54	قائمة المصادر

نبذة عن مركز الرافدين للحوار

يُعدُّ مركزُ الرافدين للحوار من المراكز النوعية في العراق التي تجمعُ على منبرها النخب السياسية والاقتصادية والأكاديمية الناشطة في توجيه الرؤى والمؤثرة في صناعة القرار والرأي العام. فهو مركز فكري مستقل (THINK TANK)، يعمل على تشجيع الحوارات في الشؤون السياسيّة والثقافية والاقتصادية بين النخب العراقية؛ بهدف تعزيز التجربة الديمقراطية، وتحقيق السِّلْم المجتمعي، ومساعدة مؤسسات الدولة في تطوير ذاتها، من خلال تقديم الخبرات والرؤى الإستراتيجية؛ لذا يمثل المركز صالوناً للحوار يتّسم بالموضوعية والحياد ويوظف مخرجاته للضغط على صناع القرار وتوجيه الرأي العام نحو بناء دولة المؤسسات، في إطار النظام الديمقراطي، وسيادة القانون، واحترام حقوق الانسان.

تأسس المركز في الاول من شباط (فبراير) 2014 في مدينة النجف الأشرف على شكل مجموعة افتراضية في الفضاء الالكتروني تضم عددا محدوداً من السياسيين والأكاديميين والمثقفين، وقد تطورت الفكرة لاحقاً، ليتم إكسابها الصفة القانونية عن طريق تسجيل المركز في دائرة المنظمات غير الحكومية NGO التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي.

يضم "مركز الرافدين للحوار" اليوم في جنباته الحوارية أكثر من سبعمائة عضو عراقي من التوجهات السياسية والاختصاصات الأكاديمية والمذاهب الدينية كافة، إذ يمكن تشبيهه بـ "عراق مصغر" اتفق فيه الجميع على اعتماد الحوار ركيزة أساسية لمواجهة المشاكل، وإنتاج حلول استراتيجية، تتناغم ورؤية المركز في بناء الوطن المزدهر. كما يعمل في أقسام المركز الإدارية 30 موظفاً من مختلف الاختصاصات.

وقد استطاع المركز خلال مدة وجيزة تحقيق مجموعة من الإنجازات عبر تسخير الطاقات المختلفة وتوظيف مخرجاتها لصالح القضية العراقية، مستفيداً بذلك من التقنيات الحديثة في التواصل

الالكتروني مع النخب في مركز القرار ومتجاوزا حواجز الجغرافيا والزمن والضرورات الأمنية، التي لربما تعيق الحوار المباشر. لم يكتف المركز بالتواصل الالكتروني، بل أقام مجموعة من النشاطات على أرض الواقع شملت عدداً من الندوات والمؤتمرات وورش العمل والجلسات الحوارية التخصصية وفي مجالات متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر: تطوير القطاع المصرفي وسوق الأوراق المالية، إنضاج مشاريع المصالحة الوطنية والتسوية بين الفرقاء والتوسط في الأزمات بين حكومي المركز والإقليم، تحسين القطاعات الخدمية والتخلص من البيروقراطية الإدارية والروتين، تحقيق الأمن المائي والغذائي، إضافة إلى استقراء العديد من الملفات الشائكة كالدستور والبتروول والعلاقات الخارجية والحشد الشعبي والمنافذ الحدودية والاستثمار والرعاية الاجتماعية وغيرها. فيما يعد ملتقى الرافدين للحوار معلماً بارزاً ضمن أنشطة المركز والذي يعد الاول من نوعه في العراق، والاكثر سعة وتنظيماً، ويهدف الى اثراء الحوار بين صناع القرار في القضايا التي تهم البلد، وتعزيز النقاشات بشأنها، وتبادل الخبرات مع الخبراء والأكاديميين.

رؤية المركز

المركز هو المحطة التي تتلاقح عندها آراء النخب وصناع القرار بجميع أطرافها السياسية والدينية والقومية، وبما يوفر من بيئة حوارية إيجابية تُحسّن إيجاد الفضاءات المشتركة بين تلك الآراء، وتسهم في بناء بلدٍ مزدهر.

رسالة المركز

تشجيع وتنمية الحوارات الموضوعية والجادة بين النخب العراقية وصناع القرار بما يعزز التجربة الديمقراطية، ويحقق السلم المجتمعي، والتنمية المستدامة في العراق.

أهداف المركز

- يسعى المركز الى تحقيق جملة من الاهداف منها:
- تحقيق السلم الاجتماعي والعمل على ادامته، عن طريق تشجيع الحوار البناء والتبادل الفكري بين النخب العراقية، ضمن قواعد واطر وطنية شاملة.
- تعزيز الشعور بالمسؤولية الوطنية في المجتمع، عن طريق صناعة رأي عام باتجاه ادامة التجربة الديمقراطية، والحفاظ على علاقة متوازنة، وثقة متبادلة بين النخب من جهة، وبين اجهزة الدولة ومؤسساتها من جهة أخرى.
- مساعدة مؤسسات الدولة وهيئاتها في وضع حلول للمشكلات التي تواجه عملها، من خلال تقديم الدراسات والاستشارات والرؤى الاستراتيجية من قبل باحثين متخصصين.
- توسيع قاعدة المشتراكات بين الكيانات السياسية والاجتماعية، عن طريق توفير بيئة حوارية محايدة وموضوعية، توجه الحوار بما يصب في الصالح العام للوطن والمواطن.

الوسائل

- من أجل تحقيق أهداف المركز فإنه يتوسل الوسائل الآتية:
- إقامة المؤتمرات والندوات والملتقيات التخصصية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتوفير التغطية الإعلامية المناسبة لها ومتابعة مخرجاتها.
- إصدار الكتب المؤلفة والمترجمة والمجلات والصحف والمنشورات والبحوث باللغة العربية او باللغات الأخرى، ونشرها ورقياً، أو إلكترونياً.
- عقد اتفاقاتٍ وشراكاتٍ للتعاون وتوقيع مذكرات تفاهم مع المؤسسات والمنظمات والمراكز المحلية والدولية التي تحملُ توجهاتٍ وأهدافاً تشترك مع توجهات المركز.
- عقد اتفاقيات مع الجامعات والكليات رفيعة المستوى في العراق وخارجه؛ لإقامة فعاليات علمية مشتركة تسهم في تحقيق اهداف المركز.
- إنشاء دوائر البحوث والدراسات العلمية والفكرية والثقافية، وتشكيل اللجان المتخصصة الدائمة او المؤقتة، التي تعزز حركة البحث العلمي بما يسهم في تحقيق أهداف المركز في القضايا التي تخص العراق ومنطقة الشرق الأوسط.
- عقد حلقات الحوار والتفاهم بين المختلفين، سواء أكان اختلافهم إنشياً أم عرقياً أم سياسياً؛ لتطوير آليات فهم الآخر كمقدمة لاكتشاف المشتركات الوطنية، وجعلها قاعدة الانطلاق في حوار بناء خلاق لتحقيق الاندماج الاجتماعي.



الحراك الشعبي والأوليغارشية المستبدة..

هل سيتمكن الجيل الثوري الجديد من انتاج دولة
مدنية في العراق ؟

تأليف

د. دهام محمد العزاوي

مستشار سياسي- وزارة التخطيط

شباط (فبراير) 2022

المقدمة

مثلت الاحتجاجات الشعبية التي عمّت العراق منذ تشرين الأول (أكتوبر) 2019، وإلى اليوم نكوصاً شعبياً وارتداداً في وعي المواطن العراقي وتصوراته حول مفهوم الديمقراطية، والممارسة الشعبية المؤسساتية للسلطة، فقد اظهرت تلك الاحتجاجات وما رافقها من أعمال عنف واعتقال وملاحقة وقتل للمتظاهرين الشباب، صراعاً واضحاً بين الإرادة الشعبية للجماهير المسحوقة اقتصادياً واجتماعياً وبين النخبة السياسية، أو ما يمكن تسميته الأولىغارشية العراقية، التي استمكنت من السلطة منذ 2003، واستثمرت مكامن القوة التي امتلكتها لبناء مرتكزاتها الحزبية والعشائرية والبيروقراطية، بعيداً عن أي مخرجات سياسية أو منافع اقتصادية، تعين في تخفيف ما يعانيه المواطن من ازمات متوالية، من بطالة وفقر وتهجير وسوء خدمات، وهو ما ادخل العراق في حالة من الاستعصاء الديمقراطي وحينئذٍ عند البعض للدكتاتورية، يرافقه اصرار شعبي لتغيير كل رموز السلطة، ولو بطريق العنف والتمرد. وهو ما يفتح باب التأويل والاجتهاد حول مستقبل العراق السياسي، في ظل تواصل مشهد الاحتقان والاستهداف العنيف للمحتجين، واستمرار تجاهل السلطة الحاكمة او الأقلية الأولىغارشية¹

¹ ينصرف مفهوم "الأوليغارشية"، على الصعيد السياسي إلى الهيمنة السياسية والمالية لتحالف حزبي سياسي على الحكم بطريقة اقصائية مستبدة، حيث يتم احتكار الحكم من مجموعة احزاب مؤتلفة، وبصرف النظر عن متبنياتها وعقيدتها وأيديولوجيتها. اما على الصعيد الاقتصادي فتتمثل الاولىغارشية في اندماج النخبة الصناعية مع النخبة المالية، أي اندماج رأس المال الصناعي مع رأس المال المصرفي، كي تحكم قبضتها على مفاصل الاقتصاد الوطني، ومن ثم تؤثر في صنع القرار السياسي الرسمي للدولة، لذا فالقوى السياسية، سواءً أكانت طائفية أو قومية أو إثنية أو علمانية تسعى جميعها لتأسيس النظام الأولىغارشي الذي يديم استمراريتها في الحكم، بعيداً عن أي مخرجات سياسية او اقتصادية تخدم الشعب. للمزيد انظر: عزمي بشارة، صعود اليمين واستيراد صراع الحضارات إلى الداخل: حينما تنجب الديمقراطية نقائص الليبرالية، مجلة سياسات عربية، العدد 23، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، تشرين ثان نوفمبر 2016، ص 15.

لمطالب الجماهير في الإصلاح السياسي والاقتصادي، وحصص السلاح بيد الدولة ومحاسبة سارقي المال العام، واحكام قبضة الدولة على مالها العام، ووقف التدخلات الخارجية في الشأن العراقي. وعليه فإن فرضية الدراسة تقوم على ان استمرار القطيعة بين السلطة والجماهير الغاضبة، سيدخل العراق في مشاهد أقل ما يمكن وصفها انها حرجة، بل وخطيرة على مستقبل البلاد ووحدته الوطنية، لعل اهمها هو استمرار مشهد العنف وعدم الاستقرار، والتصعد في البنية الاجتماعية، والترّيب المتبادل بين المحتجين من جهة والسلطة الحاكمة وأنصارها من الفصائل من جهة اخرى (تُعرف عدد من الفصائل المسلحة الشيعية في العراق إعلامياً بـ"الولائية" لقربها من إيران، بينما تُعرف هي نفسها بـ"فصائل المقاومة")، مما يرفع من عدم اليقينية والتثبت لما ستؤول إليه الأوضاع السياسية في العراق.

1. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في تبيان مخاطر الاستعصاء الديمقراطي القائم في العراق على هوية ومستقبل العراق، حيث ان ارتكان السلطة في العراق إلى المحاصصة الحزبية والأثنية، واستئثارها بمفردات السلطة لقواعدها الحزبية والعشائرية، وتركها الغالبية الشعبية تعاني الفقر والحرمان والبطالة والاستبداد، في بلد يُعد من أغنى بلدان العالم، قد غدّى في المدرك الشعبي والوعي الجماهيري العراقي، الرغبة في تصحيح الأوضاع باتجاه يعيد صياغة السلطة في العراق، بعيداً عن أي ممارسات ديمقراطية او مؤسساتية، وهو ما يرحح بعد سنوات قادمة عودة دورة الاستبداد والدكتاتورية. وعليه فإن الهدف الذي ترمي الدراسة إلى تبيانه هو هل ان ازالة السلطة وتغييرها في العراق، ومجيء حكومة تمارس نوعاً من الضبط السياسي والاستخدام المنظم للقوة، هو حل مثالي للحالة العراقية؟ أم إنّ التعايش بين الشعبوية والأوليغارشية بات أمراً حتمياً وواجباً، لمنع انفلات الأوضاع بشكل يؤثر على العراق ووحدة الوطنية؟ إنّ الاجابة على هذا التساؤل تحدده رغبة الجماهير الغاضبة وقدرة قادة الحراك الشعبي على المناورة، واعطاء فرصة للحكومة وقواها الحزبية والبرلمانية، لتصحيح الأوضاع وإجراء الإصلاحات السياسية والاقتصادية التي وعدت بها، كما يعتمد على مدى جدية الحكومة العراقية في تنفيذ الاصلاحات المطلوبة، وعدم المماطلة وتسويق مطالب الجماهير الغاضبة، وتفكيك قواها ومرتكزاتها الشعبية، فهذا الخيار بات الأمثل للسير في طريق الديمقراطية الطويل والمتعثر في العراق. فلتلافي أخطاء الديمقراطية يجب منح المزيد من الديمقراطية كما يقول جمال الدين الافغاني.

2. منهج الدراسة

ستعتمد الدراسة منهج تحليل النُظم، والذي يقوم على تحليل أداء السلطة وعموم النظام السياسي في العراق، وتفاعل مؤسساته، ونتائج ذلك التفاعل على أداء النظام وسلوكه، وهو ما يعني تحليل أسباب الاحتجاجات الشعبية، ورغبة الجماهير الغاضبة في تغيير السلطة، والتراجع عن الديمقراطية والبناء المؤسساتي الذي بني بعد عام 2003، وفيما إذا كان ذلك البناء الديمقراطي يتوافق مع رغبة عراقية شعبية في استمراره وتصحيح أخطائه، أم أن الوعي الشعبي في العراق يعاني حالة من التشرذم القيمي حيال موضوع الديمقراطية، ويجنح نحو نسف أي ممارسة ديمقراطية أو تعددية حزبية، مفضلاً عليها الحكم الشعبي الذي رسمت معالمه الاحتجاجات وحالات الغضب المستمرة في العراق منذ تشرين الأول (أكتوبر) 2019، وما رافقها من رغبة شعبية في وصول حاكم قوي ووطني يعيد إلى البلاد وحدتها وهيبتها.

3. هيكلية الدراسة

ستعالج الدراسة الموضوع في مجموعة من النقاط،

أهمها الآتي:

1- الشعبية في الواقع العراقي، وتطرح السؤال الآتي، هل إن ما يجري في العراق من احتجاجات غاضبة حيال ضعف أداء السلطة، وفساد بعض مسؤوليها، هو في سياق احتجاجات طبيعية، تُشابه ما يجري في دول أخرى يعاني شعبها الفقر والبطالة وانعدام الخدمات؟، أم إن تلك الاحتجاجات أفرزت تياراً شعبياً أو يميل إلى الشعبية، ويسعى إلى النكوص عن الديمقراطية والشرعية الدستورية، ويهدف إلى تغيير رموز السلطة الفاسدة نحو رمزية وطنية ذات إجماع شعبي ووطني؟

2-أسباب صعود الاحتجاجات الشعبية في الواقع العراقي: حيث ستطرح الدراسة مناقشة موضوعية لأسباب ظهور حركة الاحتجاج التي قادها الشباب وفي مقدمتها تغلغل السلوكيات الاقصائية في ممارسات السلطة الحاكمة، وارتكازها إلى المحاصصة الحزبية، والولاءات العشائرية والمناطقية والعنصرية، وهو ما أدخل العراق في نفق الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير المشروعة، كسرقة المال العام وتفشي- البيروقراطية، واعتبار السلطة غنيمة فردية وعشائرية، وهيمنة السلاح خارج منظومة السلطة وتردي قيم المواطنة والهوية والشرعية.

3-تساؤلات عن الحراك الشعبي ومستقبل الديمقراطية في العراق. حيث ستطرح الدراسة مشاهد متعددة، تجد حضورها في الواقع العراقي وقبولاً شعبياً بحصولها مهما كانت نتائجها، إذ ان استمرار تراجع السلطة عن وعودها بالإصلاح السياسي والاقتصادي، وضعف اجراءاتها لحصص-السلاح بيد الدولة، ومحاسبة قتلة المحتجين ومختطفينهم، وعدم جديتها في محاكمة المتورطين بقضايا الفساد المالي والإداري، واستمرار تجاهل دور الكفاءات الوطنية في التنمية، سيدخل البلاد حتماً في نفق لا نهاية له، وسيعلي من حظوظ المطالبين باستخدام القوة، لتغيير قواعد اللعبة في العراق نحو السلطوية، وهذا ما سيدخل العراق في أتون صراعات ومواجهات حزبية وعشائرية، ستزيد من الانقسام السياسي والمجتمعي في العراق.

أولاً: الشعبوية وحدود المفهوم

تُعرّف الشعبوية بأبسط معانيها بأنها بناء للآراء السياسية والتوجهات الفكرية النقدية لدى عامة الناس. حيث يتم تحويلها إلى معتقدات جماهيرية، عبر تعبئة المجتمع أيديولوجياً وعلى نحو مستمر، بغية الوصول إلى السلطة، واحكام القبضة عليها، سواء عبر صناديق الاقتراع، او بالاحتجاجات المستمرة، او حتى بالثورة والتمرد². والشعبوية توصف بأنها موجة ايديولوجية جديدة اكتسحت العالم وشطرت المجتمعات إلى معسكرين متخاصمين؛ هما معسكر الشعب ومطالبه بالتغيير الجذري للأوضاع الفاسدة وإعادة الاعتبار للإرادة العامة التي استلبها السياسيون الفاسدون، ومعسكر النخب والاحزاب الفاسدة³. كما تُعرّف الشعبوية بأنها (معاداة النُخب)، حيث ان أغلب المجتمعات التي أخذ السياسيون الشعبويون بالظهور القوي فيها، فقدت الثقة بنُخبها وأحزابها السياسية والتقليدية⁴، واتهمتها بالفساد والبيروقراطية، والعجز عن اتخاذ القرارات الصحيحة، وفتح أسوار البلاد أمام الهجرة غير المنضبطة، حيث المهاجرون يمولون من ضرائب أبناء البلاد الاصليين، ومن ثمّ اتجهت نسبة كبيرة من المجتمعات لتأييد شخصيات يسارية أو ثورية منقلبة على الواقع⁵.

² عبد الحميد الموساوي وحسام الدين علي مجيد، الشعبوية في الشرق الاوسط: ماهية الخطاب وخصائصه المقارنة، مجلة العلوم السياسية، العدد 59، (جامعة بغداد 2019)، ص 60.

³ كاس مودّه وكريستوبل روفيرا كالتواسر، مقدمة مختصرة في الشعبوية، ترجمة سعيد بكار ومجد بكار، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020)، ص 26.

⁴ شريف مراد، الشعبوية ستمتلك الزمام.. هل تتحول أوروبا لعصر الكوابيس؟ مقال، لجزيرة نت بتاريخ 2020/7/9 شوهد بتاريخ 2021-6-16 في <https://www.aljazeera.net>

⁵ عزمي بشارة، صعود اليمين واستيراد صراع الحضارات إلى الداخل: حينما تنجب الديمقراطية نقائص الليبرالية، سياسات عربية، العدد 23، (الدوحة المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) تشرين الثاني - نوفمبر 2016، ص 8.

وباتت الشعبوية تياراً عالمياً اكتسح أوروبا بشرقها وغربها، بصعود رموز اليمين المتطرف والفكر القومي. ففي ألمانيا ظهر حزب البديل من أجل ألمانيا، والذي بات ثالث أقوى حزب داخل البرلمان (البوندستاغ)، ويطالب بتبني سياسات متشددة ضد المهاجرين واللاجئين⁶. وفي فرنسا لازال حزب التجمع الوطني المتطرف بزعامة مارين لوبان يواصل تعزيز نفوذه وسط المتطرفين من انصاره، عبر مطالباته العنصرية بوقف هجرة الأفارقة والمسلمين إلى فرنسا⁷، ويتكرر صعود الشعبويين المتطرفين في إيطاليا وبولندا وهنغاريا⁸. وقد أخذت هذه الأحزاب تنظم لقاءات مشتركة لتوحيد مواقفها في انتخابات الاتحاد الأوروبي والفوز بأكبر عدد من المقاعد وإطلاق عملية إصلاح داخل الاتحاد الأوروبي، وعرض رؤية جديدة لأوروبا⁹. ولم تنج أمريكا اللاتينية من صعود التيار الشعبي، سواءً في الأرجنتين وفنزويلا أو في البرازيل التي صعد فيها الرئيس بولسونارو، والذي تضخمت شعبيته نتيجة أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة تعرضت لها البلاد¹⁰. ولا شك ان زخم

⁶ حزب "البديل من أجل ألمانيا" المعادي للإسلام واللاجئين: فائز أم خاسر في الانتخابات الألمانية؟ منشور في موقع بي بي سي بتاريخ 22 سبتمبر/ أيلول 2017 شوهد في 15-6-2021 في <https://www.bbc.com>.

⁷ صناعة الخوف: ادهاب اليمين المتطرف والشعبوية، عرض كتاب، موقع مركز المسبار للدراسات والبحوث، شباط -فبراير 2019، شوهد بتاريخ 19-6-2021 في <https://www.almesbar.net>

⁸ كاس مودي، صعود الشعبوية في أوروبا!، تقرير اخباري، نون بوست بتاريخ 26-10-2016، شوهد بتاريخ 11-6-2021 في <https://www.noonpost.com>

⁹ جاين الدتون، أحزاب اليمين المتطرف تُوحّد صفوفها عبر أوروبا طلباً للمزيد من القوة في الانتخابات الوشيكة، تقرير منشور في موقع انديبننت بتاريخ 21 مايو 2019 شوهد بتاريخ 12-6-2021 في:

<https://www.independentarabia.com>.

¹⁰ أمريكا اللاتينية والشعبوية.. رغبات عادلة ونهايات مأساوية، مقال، جريدة الاقتصادية، الرياض، في 15-1-2019، شوهد بتاريخ 18-6-2021 في: <https://www.aleqt.com>.

الشعبوية قد تعزز بفوز الرئيس الأمريكي دونالد ترامب برئاسة الولايات المتحدة في 2016¹¹، حيث جرف صعوده حماسة الناخبين، بخطابه التعبوي التحريضي. ضد التقاليد السياسية في الولايات المتحدة، وغاير ممارسات أسلافه من السياسيين الأمريكيين بانتقاد سياساتهم علانية، في حرب أفغانستان 2001 والعراق 2003 وليبيا 2011، وسحب التزامات الولايات المتحدة من الكثير من المعاهدات الدولية، وجاهر بمعاداة الوافدين والمهاجرين والأقليات الدينية والثقافية، ومنع دخول مواطني سبع دول عربية اسلامية، ودعا إلى تبني الولايات المتحدة سياسة حمائية مناهضة للعولمة¹².

ويؤكد الكثير من الباحثين في تفسيرهم لتفشي الشعبوية، إلى أن تطور التكنولوجيا الرقمية، وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي، أسهم في امتداد وتوسع الشعبوية، ووفقاً لمجلة فوربس الأمريكية، فإن العلاقة الأوضح بين الشعبوية وشبكات التواصل الاجتماعي، تبرز في لجوء بعض السياسيين إلى تلك المنصات، واستخدامها في الدعاية الانتخابية، وتلميع أنفسهم وترويج برامجهم¹³، فهي تمنح الأشخاص الشعبويين حرية التعبير عن أيديولوجيتهم، ونشر رسائلهم وأفكارهم بلا قيود وأمام جمهور متنوع¹⁴، وقد عزا باحثون آخرون تمدد الشعبوية إلى الهوية الثقافية غير المستقرة، فحسب أستاذ العلوم

¹¹ بشارة، ص 8 .

¹² بشارة، ص 10.

¹³ هل أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في صعود التيار الشعبي؟ مقال، موقع القرار الإلكتروني في 24 أغسطس 2020 شوهد في <https://alqarar.sa> بتاريخ 17-6-2021.

¹⁴ يمكن التأكيد على إن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب كان أكثر السياسيين الذين أرسوا فكرة توظيف وسائل التواصل الاجتماعي، غوغل وفيس بوك وتويتير ويوتيوب لبتّ رسائله وتغريداته السياسية ومهاجمة خصومه وتلميع صورته، ولكثرة رسائله (المشاكسة) فقد قررت ادارات تلك المواقع حظر حساباته.

السياسية بجامعة ميتشيجان (رونالد إنجل هارت)، فإن القيم الثقافية أصبح لها وزن نسبي بالمقارنة مع انعدام الأمن الاقتصادي، كمؤشرين للدعم الانتخابي للأحزاب الشعبوية¹⁵، فقد أصبحت ردود الفعل الثقافية تتفوق في أحيان كثيرة على المخاوف الاقتصادية، حيث أن التصويت لحزب قومي، أو حركة ذات توجهات عنصرية، هو رد فعل رجعي من قِبل فئات سكانية، تشعر بتراجع دورها، كالعنصريين البيض في الولايات المتحدة وأوروبا¹⁶.

ثانياً: القيم الثقافية وانتشار الشعبوية

تزداد أهمية القيم الثقافية في انتشار الشعبوية، باختلاف القضايا التي تشغل اهتمامات الرأي العام. ففي مجتمعات ترتفع فيها معدلات الجريمة والمخدرات مثل الفلبين أو البرازيل أو المكسيك، تطغى شعبية الخوف أحياناً على المخاوف الاقتصادية أو الاجتماعية¹⁷. أما في المجتمعات التي يجتاحها الإرهاب، فكثيراً ما يركز خطاب القادة الشعبويين على تعبئة مشاعر القلق لدى الناخبين، لتعزيز حظوظهم الانتخابية، ومن ثمّ من المرجح أن تكون جذور الشعبوية الجديدة في معظم البلدان نتيجة لتشابكات كثيفة، بين عوامل سياسية واقتصادية وثقافية وغيرها¹⁸. إجمالاً فإن مفهوم الشعبوية، مختلفٌ عليه أكاديمياً وسياسياً، فتارة يُستخدم بمعنى تحريضي- من قبل معارضي السلطة والناقمين عليها، وتارة يُستخدم لتعبئة الناس وتحشيدهم عبر الوعود الانتخابية الكاذبة، وتهيبج عواطفهم

¹⁵ هل أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في صعود التيار الشعبي؟ مصدر سابق.

¹⁶ في عهد ترامب.. للعنصرية صوت مسموع، الوطن، بتاريخ 25-3-2018 شوهد بتاريخ

<https://www.al-watan.com/2021-6-18>

¹⁷ هل أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في صعود التيار الشعبي، المرجع نفسه.

¹⁸ المرجع نفسه.

الذاتية ضد الأجانب والوافدين وتجليات العولمة والاختلافات الثقافية، أي أن القادة الشعبويين يعزفون على ما تهوى الأكثرية من شعوبهم من خطابات تعبوية دونما اعتبار للأسس والحقائق الموضوعية¹⁹.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الشعبوية، باستقطاب أنصارٍ كثر، وسمحت بصعود سياسيين متطرفين، فإنها أخذت تواجه تياراً مضاداً ينتقد ثقافتها وأهدافها ومقاصدها، فحسب تقرير نشرته منصة أوبن ديموكراسي الإعلامية المستقلة. فإن تصاعد أصوات الزعماء الشعبويين، دفع إلى تقلص مساحة الديمقراطية والحريات في كثير من دول العالم²⁰، وحسب التقرير، فإنه كلما تعاضم دور زعماء مثل ترامب وجونسون في بريطانيا وبولسنارو في البرازيل وغيرهم، كلما زاد الخلل الاجتماعي والسياسي في العالم، خاصة فيما يتعلق ببعض القضايا مثل الهجرة، سوق العمل، حقوق الأقليات وزيادة العنصرية. وحسب تقرير المنصة الإعلامية، فإن مواجهة اتساع رقعة الشعبوية في العالم، يتطلب بذل الكثير من الجهد²¹، وخلق مناخات عالمية للحوار الثقافي، وتبادل المصالح الاقتصادية ودعم جهود الأمم المتحدة لمواجهة مشكلات الفقر، والأمية، وانتشار الحروب والصراعات الداخلية والخارجية²²، فضلاً عن عقد مؤتمرات عالمية لمناهضة العنصرية، وتعزيز حقوق الانسان، والأقليات، وحماية المهاجرين والوافدين، وغيرها من القضايا التي تنزع نحو تعزيز

¹⁹ الموساوي وعلي، المرجع نفسه ص 63.

²⁰ هدى الشيمي، بعد صعود "ترامب بريطانيا".. ما هي الشعبوية التي تجتاح العالم؟ مقال، بتاريخ 2019-7-28 شوهد في تاريخ 2021-6-15 <https://www.masrawy.com/>

²¹ الشيمي، المرجع نفسه.

²² خالد أبو اسماعيل وآخرون، الفقر المتعدد الأبعاد، التقرير العربي (بيروت: الاسكوا، جامعة الدول العربية، اليونيسيف 2017)، ص 15

السلام العالمي، ومحاربة الفكر اليميني وأنصاره من القادة الشعبيين.

ثالثاً: دوافع الحراك الشعبي في العراق

شهدت المنطقة العربية منذ 2011، تياراً شعبياً جارفاً تمثل في الثورات والانتفاضات التي ظهرت في تونس، ودبّت في هشيم مجتمعات عربية أخرى، بقيت لعقود تعيش تحت أوضاع معيشية وسياسية، غاية في البؤس الاقتصادي والاجتماعي والقمع السياسي. فقد حفّز الاستبداد عواطف الجماهير، للمطالبة بالحرية والعدالة والمساواة، ودفعها لتبني خيارات ثورية عنيفة في التغيير²³، أجبرت بعض الزعماء والسياسيين على الهرب، وأرغمت آخرين على تسليم السلطة وتقديم أنفسهم للمحاكمة أمام الشعب، في حين فضّل آخرون الموت على تسليم السلطة كما في النهاية المأساوية للرئيس اليميني السابق علي عبد الله صالح، كانون أول (ديسمبر) 2017²⁴.

لقد كانت ثورات الربيع العربي أحد معالم تحول السلطة في العالم العربي، وعُدّت محاولةً لحلّ إشكالية الدولة ونماذجها الدكتاتورية والاستبدادية، وخصوصاً بعدما وصف باحثون كثيرون الثورات العربية بأنها "انهيار جدار برلين" عربي²⁵. أما في العراق فقد قدّم السياق العراقي نهجاً مغايراً في عملية الاحتجاج السياسي، وبشكل مخالف لما جرى في غالبية البلدان العربية

²³ مجموعة باحثين، الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، ط2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2014)، ص 167 وما بعدها

²⁴ نيويورك تايمز: الربيع العربي ومصائر خمسة رؤساء، تقرير، موقع الجزيرة نت في 2-5-

2017، شوهد في تاريخ 19-6-2021 <https://www.aljazeera.net>

²⁵ هيثم فرحان صالح، إشكالية الدولة في العالم العربي وتحول السلطة على أبواب الألفية الثالثة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020)، ص 43.

ودول الشرق الاوسط. فالتغيير السياسي الذي حصل في العراق عام 2003، وغير قواعد السلطة والنظام، لم يكن شعبياً وانما بإرادة دولية، تمثلت في الاحتلال الامريكي الغربي للعراق، واسقاط نظام الرئيس صدام حسين²⁶. ومع محاولات الاحتلال تثبيت قواعده الدستورية والمؤسسية في العراق، عبر مجلس الحكم الانتقالي 2003-2004، وانتخابات 2006 و2010، أظهر التيار الشعبي العراقي ولاسيما بشقيه الشيعي والكردي، ملامح ارتياح ورضا بنتائج الانتخابات التي أوصلت ممثليه إلى السلطة، حيث برز تيار شيعي عريض في بغداد والمحافظات الجنوبية، مؤيد للأحزاب الدينية وحقها في حكم العراق، بعد سنوات من الاستبداد والقمع للرئيس صدام حسين، والذي أخذ يظهر في المدرك الشعبي لفئات شيعية واسعة، بأنه زعيم سني مستبد. وقد أفرزت نتائج انتخابات 2006، تصدر الأحزاب الدينية وكذلك الأحزاب القومية الكردية، المشهد السياسي، بعد أن لعبت على وتر العواطف المذهبية والقومية المتعلقة بأحقية الشيعة في السلطة²⁷، ومشاركة الأكراد فيها لتحقيق أهدافهم القومية²⁸. لقد مكّن التماهي الشعبي المؤيد للتغيير في العراق، تلك الأحزاب من تكريس هيمنتها السياسية واستبعاد معارضيه

²⁶ مجموعة باحثين، الاحتلال الامريكي للعراق: المشهد الاخير، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص 111.

²⁷ زمكان سليم، وهم تخطي الطائفية في العراق، مقال تحليلي منشور في معهد واشنطن في 2018-4-20 شوهدي في 2021-6-11

<https://www.washingtoninstitute.org/>.

²⁸ لم يقتصر الخطاب الحزبي الضيق على الاحزاب الشيعية وانما على الاحزاب الكردية التي دغدغت مشاعر انصارها بالحلم القومي الكردي، وبأن العملية السياسية في العراق ومشاركة الاحزاب الكردية ستفضي بالمحصلة إلى تحقيق طموحات الكرد في فيدرالية مستقلة، وربما إلى استقلال الكرد في دولة مستقلة استناداً إلى الدعم الامريكي والغربي المتوقع. انظر دهام مجد العزاوي، الاحتلال الامريكي للعراق والفيدرالية الكردية، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2009) ص 56.

بطريقة غير ديمقراطية²⁹، ونجحت لعقد ونصف بعد التغيير من تخدير الجماهير بشعارات عاطفية للتخويف من الآخر، واللعب على خيوط التقاطعات الطائفية في العراق³⁰، وتلك الشعارات استلهمت من خزنها المتراكم في العمل المعارض لنظام صدام حسين، والذي استخدمت فيه عباءة الدين، وشعارات التحريض الطائفي، والشعور بالمظلومية، كسبيل للوصول إلى السلطة³¹، واستجلاب تعاطف شعبي لمتخيلات قدّمت فيها هذه الأحزاب نفسها، بأساليب التعبئة والتلقين المستدام، كحامية ومنقذة وملاذ أخير لقطاع عريض من الجماهير، انسقت بعواطفها وثقافتها المذهبية العميقة التجذر، وراء الخطاب الذي روجت له أحزاب السلطة³².

لقد نجحت تلك الأحزاب في تحويل الاستجابة الشعبية إلى مغنم ووسائل لبلوغ النفوذ، والقيادة والسيطرة، والحماية من المسائلة، وتحولت بعد بلوغها السلطة إلى أوليغارشية حزبية، سخّرت مكاسب السلطة لمصالحها الخاصة، بعيداً عن الشعارات التي خدرت بها عواطف الناس³³. حيث اتضح من سياق تطور الأحداث في العراق، ان الذي حصل كان مجرد انتقال من حكم استبدادي لحاكم طاغية، إلى حكم أوليغارشي

²⁹ د. باسل حسين واخرون، الديمقراطية في الحياة الداخلية للأحزاب السياسية العربية، (عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2009)، ص 33.

³⁰ د. حارث حسن، الأزمة الطائفية في العراق: إرث من الإقصاء، دراسة تحليلية مركز مالكوم كير - كارنيجي للشرق الاوسط بتاريخ 2014-4-23، شوهد في 2021-6-14 في <https://carnegie-mec.org>.

³¹ د. عزمي بشارة، الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2017)، ص 65.

³² حيدر نزار السيد سلمان، معركة الإزاحة الشعبية ضد الأوليغارشية الحزبية، المدى، 2020-2-29.

³³ مصطفى مجد غريب، أحزاب الإسلام السياسي فشل البرامج.. فشل التجربة، مقال، ميدل ايست اونلاين في 2021-7-12، شوهد في 2021-6-20 في <https://middle-east-online.com>.

تشكل كسياق تاريخي في المنفى، من تحالف مجموعة احزاب مستبدة لا تؤمن بالديمقراطية ولا بالإصلاح السياسي لتعديل مسار العمل السياسي³⁴، ولا بحرية الشعب وخياراته الدستورية في التعبير لأجل التغيير³⁵، كما لا تؤمن بالدولة المدنية واشتراطاتها الدستورية والمؤسساتية. وقد وقّرت البيئة الاقليمية والدولية التي سادت في العراق بعد 2003، الظروف أمام تلك الأحزاب لاغتنام الفرصة، وحصد المكاسب والامتيازات، حتى بلغ بها الحال أن كونت مكاتب اقتصادية داخل الوزارات لتنمية ثرواتها، وأذرع عسكرية لحماية مصالحها، والاستيلاء على التعيينات والمناصب الكبرى في الوزارات والمؤسسات المهمة، كالمالية والنفط والمنافذ الحدودية، والمصارف الحكومية الكبرى، دون أن تقدّم تنازلات حقيقية، لجمهور استوعب الصدمة واستفاق، بعد غياب فرضتها عليه هذه الأوليغارشية الحزبية وزعاماتها المستبدة³⁶. فوجد نفسه بعد عقود من الغفلة، مستباح الحقوق، فاقد الحرية، مسلوب الارادة، بلا أمن أو خدمات، بعد أن عمدت الأحزاب لتهميشه واقصائه، سياسياً واجتماعياً بمحاولتها الاستمرار بإمساك السلطة، وعدم السماح لمنافسيها من القوى الاجتماعية الجديدة بالمشاركة³⁷. وقد

³⁴ محمد حلمي عبد الوهاب النهوض العائر: الإصلاح والتجديد في الأزمنة الحديثة، المشارب والتجارب، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020)، ص 57.

³⁵ نعم محمد صالح، التعددية الحزبية في العراق في ظل غياب قانون الاحزاب، مجلة العلوم السياسية، العدد 43، (جامعة بغداد 2011)، ص 62.

³⁶ سركيس أبو زيد، الأوليغارشية الديمقراطية الفوضوية والجماهير الخائبة، مقال منشور في موقع البديل العراقي، بلا تاريخ، تاريخ الدخول 2021-6-20 <http://www.albadeeliraq.com>.

³⁷ مع استمرار معظم الاحزاب الدينية والقومية في خطابها التعبوي لجماهيرها، أخذ واقع العراق مساحة كبرى من التراجع الشمولي في كل مناحي الحياة، فالانقسام المجتمعي ازداد هوة بين السنة والشيعية والاكرد، واتسع الانقسام الطبقي بين قلة غنية تملك ثروات فاحشة وغالبية مسحوقة، وانهار دور الدولة ومؤسساتها الأمنية أمام تصاعد نبرة

فاقم مشاعر الغضب لدى الجماهير، تعنت الأحزاب الحاكمة ورفضها دعوات الإصلاح الشعبية، وتراجع الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في العراق، وامتلاك بعضها أذرعاً مسلحة نشطة، في مواجهة الناشطين والمتظاهرين المطالبين بالإصلاح، وارتباط أغلب هذه الأحزاب بعلائق خارجية مريبة، مسّت في أحيان كثيرة السيادة الوطنية، مما وقرردود أفعال ساخطة ورافضة لهذه الأحزاب وامتداداتها الخارجية.

رابعاً: جيل شعبي جديد

رغم سلوكيات الاستئثار والتحكم التي مارستها الأحزاب الاولىغارشية المتحالفة، إلا أن قطاعاً واسعاً من المحتجين، ظل متمسكاً بشعارات ومطالبات لا تخرج عن محاولات تعديل سلوك السلطة، في ملف مكافحة الفساد، ومعالجة تردي الفقر والبطالة، وتوفير فرص للعاطلين عن العمل وخريجو الجامعات، وتسهيل الخدمات وتنشيط القطاع الخاص، وظلت السلطة تراهن وتحتاج بأن تردي الملف الأمني، واستمرار ضغط

الإرهاب، فحصلت الهزيمة الكبرى للجيش والقوى الأمنية على يد تنظيم الدولة (داعش)، حيث سقطت مدينة نينوى (الموصل)، وبقية المحافظات السنية في 10-6-2014، ودفع العراق ثمناً كبيراً في إعادة بناء مؤسسته العسكرية، فالثمن كان صعود قوى عسكرية جديدة، بات يُراد لها وبتوجيهات من دول مجاورة أن تحل محل القوى الامنية الرسمية وتتحكم بالقرار السياسي والامني، بل والاقتصادي والاداري في العراق. أما على مستوى الخدمات فلأعوام متتالية تحصل بغداد على أسوء مدينة عالمية في الخدمات، حسب منظمة الشفافية العالمية. وطبقاً لمؤشرات الفقر في وزارة التخطيط العراقية فإن أربع محافظات شيعية احتلت المراكز الاولى في معدلات الفقر، وهي محافظات المثنى والقادسية وذي قار وميسان، حيث ارتفعت البطالة فيها وتمكنت قوى داخل مجالس المحافظات وعدد من المسؤولين الاداريين والسياسيين من الاستحواذ على ميزانيات محافظاتهم الخاصة بالتعيينات والخدمات وبمشاريع البنى التحتية. وفي ظل هذا الواقع الخدماتي المزري ظلت الاحزاب والشخصيات السياسية البارزة تثب خطاباً شعبوياً تحريضاً لجماهيرها، بهدف ابقاء جذوة الانفعالات الطائفية والعشائرية وابعاد وعي المواطن عن إدراك مشكلاته الحقيقية، لكن هذا الخطاب اخذ ينهار مع بداية انتفاضة الشباب في محافظات الجنوب عام 2017 والاعوام التي تلتها.

التحديات الارهابية لتنظيم القاعدة ومن ثم تنظيم داعش³⁸، تعيق انفتاحها السياسي ونشاطها الاقتصادي والخدمي، وبقي هذا العذر غير المبرر يدفع فئة كبيرة من السكان المحبطين، إلى تأجيل الحديث عن الثورة، أو التفاعل مع دعوات الاحتجاج، إلا أن انتهاء الحرب على الارهاب وهزيمة داعش في كانون اول (ديسمبر) 2017، وحصول استقرار أمني ملموس، قد أعان في عودة التفكير الشعبي بالضغط على الحكومة، ولكن اللافت للنظر أن شعار المحتجين هذه المرة لم يكن يتعلق بتوفير الخدمات، أو اجراء اصلاحات سياسية واقتصادية، وإنما كان هذه المرة يميل إلى الشعبوية ويرمي إلى إسقاط العملية السياسية التي تشكّلت منذ 2003 برمتها، ومحاكمة الطبقة السياسية، والغاء النظام البرلماني بنظام رئاسي، وكان الشعار متوافقاً تماماً مع رغبة الجماهير في ايجاد شروط جديدة للانتقال الديمقراطي يفرضها العراقيون بأنفسهم وليس كما حصل من شروط الاحتلال الامريكي والاحزاب التي انضوت في مشروعه السياسي³⁹.

وقد برزت تلك الشعارات في احتجاجات البصرة خريف 2018، وتوالى في الاحتجاجات اللاحقة في المحافظات الجنوبية، (ذي قار، المثنى) ومحافظات الفرات الاوسط، (النجف، كربلاء، القادسية)، وفي العاصمة بغداد، وهو تطور سياسي واجتماعي خطير ومهم في تاريخ العراق، باتت أهم

³⁸ بقيت السلطة وبعض الأحزاب السياسية الحاكمة تراهن على استمرار الخطاب الطائفي والتوتر الأمني والتفجيرات في المناطق الشيعية كملف حاسم في شدّ انتباه قواعدها الجماهيرية وتغذية العواطف حول امكانية فقدان السلطة من جديد وعودة البعثيين للسلطة، وهو مبرر ركنت إليه تلك الاحزاب في خطابها وسلوكها بهدف إلهاء الشعب عن فشلها في توفير حاجاته الملحة من الخدمات والمتطلبات الاساسية للبنى التحتية.

³⁹ عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020) ص 78.

ملامحه، ظهور جيل جديد من المحتجين منقطع عن ماضيه، جيل وُلد أغلبه بعد عام 2003، متأثراً بالعالم الافتراضي، وما تتيحه تكنولوجيا التواصل الاجتماعي من فيس بوك وتويتر وانستغرام، من حرية التعبير عن الآراء، وتشكيل وعي جمعي ساخط بين الشباب المحبط، بعيداً عن قيود السلطة وقمعها⁴⁰، إنه جيل مسلح بعقلية جديدة، خلع عن عقله تأويلات الأحزاب وبعض رجال الدين الذين يعملون على توظيف الدين في غايات ضيقة⁴¹، جيل ينظر إلى السلطة على أنها منتج بشري، يوكل لمن يقدم ويفكر ويبدع ويجتهد في خدمة الناس، ولا تُعطى لمن يغيب وعي الجماهير بشعارات تُبقي تفكيره مرتبطاً بالماضي، بعيداً عن واقع السياسة والذي اجتهدت فيه كثير من الشعوب المجاورة للعراق، فتقدمت وتراجعنا ونجحت وفشلنا⁴².

أولى بوادر الشقاق بين السلطة والمحتجين، كانت في تظاهرات تشرين الأول (أكتوبر) 2019، والتي أتضح أنه كان مخططاً لتنظيمها قبل عام، بعد أن أدركت قطاعات عريضة من الشباب أن الانتخابات التي دعت الحكومة الشعب للمشاركة فيها بقوة عام 2018، كانت مزورة في نتائجها وشخصياتها وأطرافها، فقد هيمن السلاح والمال الفاسد والتدخلات الدولية والاقليمية على نتائجها، بحيث أفرزت حكومة لا يمكن إلا أن توصف بأنها أسوء من سابقتها، في موضوع هدر المال العام والمحسوبية والمحاصصة الحزبية، وهيمنة السلاح المنفلت

⁴⁰ دهام مجد العزاوي، فشل المأدلجون ونجح تويتر وفيسبوك، مقال، الحوار المتمدن

بتاريخ 2011-2-5. شوهده بتاريخ 2021-6-13. <https://www.ahewar.org/>.

⁴¹ داود السلطان، علي شريعتي المفكر الثائر، مقال، الحوار المتمدن، بتاريخ 2021-1-30

2021، شوهده بتاريخ 2021-6-13. <https://www.ahewar.org/>.

⁴² رانج علاء الدين، الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق، دراسة، (الدوحة): مركز بروكنجز

(2018)، ص 11.

على قرار الحكومة، فكان انفجار الاحتجاجات في تشرين الأول (أكتوبر) 2019، في بغداد ومحافظات الجنوب والفرات الأوسط، ايذاناً ببدء القطيعة الأبدية بين الجماهير والحكومة، والبرلمان والسلطة القضائية، التي اتهمها المحتجون كذلك بأنها باتت شاهد زور وحمية للفساد والفاستدين⁴³. وإذا كانت استراتيجية الاحزاب في الاحتجاجات السابقة، هي زج أنصارها في تلك الاحتجاجات، لإبراز سخطها على الحكومة المشاركة فيها أصلاً، واطهار تعاطفها الزائف مع مطالب المحتجين، فإن احتجاجات 2019، شهدت مقاطعة واعتراض من قبل القوى والاحزاب السياسية، وامتناع عن المشاركة في الاحتجاجات، بما في ذلك القوى المحسوبة على اليسار كالحزب الشيوعي، الذي التزم الصمت لتحالفه مع التيار الصدري، الذي هيمن على الحكومة وقرارها بعد انتخابات 2018⁴⁴. حيث أدركت تلك الاحزاب أن الشعارات المرفوعة هذه المرة، تتجاوز الخدمات والتعيينات ومحاسبة الفاستدين، إلى تغيير النظام السياسي برمته، واستبداله بنظام جديد يزيح الأحزاب من خارطة العمل السياسي، ويقلب نظام المحاصصة إلى نظام سياسي رئاسي، يمسكه سياسيون غير ملوثين بأدران الطائفية والحزبية، ولهم من صفات القوة والنزاهة ما يعينهم على تصحيح الأوضاع السياسية والاقتصادية، وتخفيف معاناة العراقيين المتواصلة منذ 2003. لقد طرحت الاحتجاجات تساؤلاً مشروعاً عن اسباب خوف السلطة من الاحتجاجات، فهل الخوف من منتج الديمقراطية الوطنية الذي ستفرزه الاحتجاجات أم الخوف من

⁴³ مجد كريم الخاقاني، تجربة العدالة الانتقالية في العراق، تحليل، المركز الديمقراطي العربي، برلين بتاريخ 6-12-2017، شوهد بتاريخ 20-6-2021 في

<https://democraticac.de/>

⁴⁴ لاهاي عبد الحسين، ازمة اليسار العراقي، المدى في 23-6-2018.

الأجيال الشابة وانسلاخها عن الواقع السياسي والاجتماعي الذي فرضته السلطة طوال السنوات الماضية؟⁴⁵.

خامساً: مخرجات الحراك الشعبي ونتائجه

كانت احتجاجات 2019، واحتجاجات 2021، وما تبعها من عمليات قتل وملاحقة وتغييب للمتظاهرين، قد أفرزت نتائج يتوقف الباحثون للشأن العراقي حولها، الأولى أن الاحتجاجات أخذت بعداً وطنياً، حيث صمود المحتجين الاسطوري في ساحة التحرير وسط بغداد، أمام عمليات القتل والملاحقة والتعذيب قد أكسبهم تعاطف الشارع العراقي بكل أطرافه، لاسيما مع الشعارات الوطنية التي رفعوها لأجل التغيير، فبعد ان كانت الاحتجاجات مقتصرة على المناطق الشيعية في الجنوب والأحياء الشيعية الفقيرة في بغداد، فإن الاحتجاجات أخذت تشهد مشاركة وطنية واسعة من بغداد وخارجها، فقد اشترك آلاف الشباب من السنة وغيرهم، في تظاهرات ساحة التحرير في 2019 و2021، وقدمت العوائل في مناطق بغداد المختلفة مساعدات عينية من مأكّل ومشرب وملابس وأغطية ولوازم طبية للمتظاهرين، وهو مشهد وطني أعاد لنفوس العراقيين حالة الوحدة والتضامن والتي اعتاد العراقيون عليها في المواقف الوطنية الكبرى. والثانية هي دخول طرف ثالث من خارج السلطة، بدأ يمارس باسم الأجهزة الأمنية انتهاكات خطيرة لحقوق الأنسان، عبر عمليات القمع والقتل، والخطف للمتظاهرين والناشطين والمعارضين لسلطة الاحزاب، وقد بينت تقارير دولية ان انواعاً محرمة دولياً من الرصاص، تم استخدامها من قبل جهات معينة لقتل المتظاهرين، ففي هذا الصدد

⁴⁵ مجموعة باحثين، الشباب والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية (تحرير: عبد الفتاح ماضي وعبد ماضي)، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2019)، ص

أوضحت منظمة العفو الدولية في بيان لها نشر على موقعها الإلكتروني، استخدام أنواع من القنابل لم يسبق استخدامها لقتل المتظاهرين بدلاً عن تفريقهم، محددةً نوعين مختلفين من القنابل المصنعة في بلغاريا وصربيا على غرار القنابل العسكرية، ويبلغ وزنها 10 أضعاف ثقل عبوات الغاز المسيل للدموع، ما أدى إلى إصابات مروعة وأعداد وفيات لم يسبق لها مثيل. ولعل تقرير منظمة العفو الدولية توافق بشكل فاعل مع تصريح لوزير الدفاع العراقي في حكومة السيد عادل عبد المهدي المستقيلة السيد نجاح الشمري، والذي أكد أن هناك طرفاً ثالثاً يقوم بقتل المتظاهرين في العراق، وأن الأسلحة المستخدمة في قتل وجرح المتظاهرين لم تستوردها أي جهة عراقية⁴⁶. وتشير المصادر إلى ان حصيلة من سقطوا من المتظاهرين الشباب منذ تشرين الأول/أكتوبر 2019 ولغاية شهر آيار 2021 قد تجاوز 800 شهيد و28 ألف جريح معظمهم من الاحياء الشعبية في بغداد والمحافظات الجنوبية ولاسيما ذي قار (الناصرية). وهذا الأمر أربك المشهد الأمني والسياسي، وعقد عملية الوصول للفاعل الحقيقي لعمليات القتل والتعذيب، في ظل الانكار المعلن للجهات الأمنية عن مسؤوليتها في قتل وجرح الناشطين.

أما المتغير الثالث فهو دخول وسائل إعلام إيرانية أو مدعومة منها لأول مرة على خط التشنيع والهجوم على المتظاهرين والمحتجين، واتهامهم بأنهم أدوات للولايات المتحدة ولأجهزة الاستخبارات العالمية، لتخريب الاستقرار السياسي في العراق. ومن الواضح أن دخول إيران جاء بسبب هجوم المتظاهرين القوي على ما وصفوه بسياساتها "التخريبية"

⁴⁶ حول بيان منظمة العفو الدولية وتصريح وزير الدفاع العراقي انظر: غفران يونس، مطالب المحتجين العراقيين... من الإصلاح إلى الإسقاط، تقرير، صحيفة الاندبندت البريطانية بتاريخ 2019-11-15 شوهده بتاريخ 2021-6-10

في العراق، حيث حملوها مسؤولية التدخل العلي في شؤون العراق ودعم بعض الأحزاب السياسية، بل واسناد بعض الفصائل، التي باتت جزءاً من البرلمان والحكومة وأجهزة الأمن. ولأول مرة يهتف قسمٌ كبير من المتظاهرين بشعارات مناوئة لإيران، ويُحرق المحسوبون عليهم القنصلية الإيرانية في البصرة والنجف، ويمزقون صور الامام الخميني والسيد الخامنئي والجنرال قاسم سلیماني، ويهاجمون مقرات الأحزاب والفصائل المسلحة. وهو تطور مهم جداً أفرزته الاحتجاجات الشعبية، يُبرز عودة الوعي الوطني للكثير من شيعة العراق، الذين غيّبتهم سنوات التسطّيح الثقافي وتغييب الوعي، الذي مارسه ما يُسمى بـ"أحزاب الإسلام السياسي" مع أنصارها ومريديها.

أما المتغير الرابع والمهم فهو الحضور الطائفي لجيل المتظاهرين الشباب الذين تتراوح أعمارهم من (16 إلى 30 عاماً)، الذين يتسمون بقوة اندفاعهم الوطني، وبضعف ولائهم الطائفي والعشائري، وانقطاعهم التاريخي عن طبيعة الصراع السياسي، الذي كان سائداً في عهد حزب البعث ونظام صدام حسين، وعدم اهتمامهم به⁴⁷، فضلاً عن أنهم وُلدوا في فترة الانفتاح الكبير في عالم المعلوماتية ووسائل التواصل الاجتماعي، الأمر الذي جعلهم أكثر تأثراً بالتحويلات الدولية، وأشد احتكاكاً بالثقافات العالمية الأخرى⁴⁸، أما المتغير الخامس والمهم، فهو دقة التنظيم والتواصل والانضباط العالي الذي مارسه المحتجون أو المتظاهرون، لجهة تحديد يوم ومكان التظاهر وطبيعة الشعارات والأعلام التي تُرفع، وكيفية التعامل مع ردود

⁴⁷ احتجاجات العراق: بين مطالب الشارع وعنف السلطة، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بتاريخ 20-10-2019، شوهد بتاريخ 19-6-2021.

⁴⁸ عماد الشمري، ساحات الاعتصام في العراق.. أهميتها ورمزيتها، مقال، موقع الجزيرة نت بتاريخ 29-12-2019، شوهد بتاريخ 14-6-2021 في

فعل الأجهزة الأمنية والطرف الثالث الذي يقتل المتظاهرين، واختيار الشخصيات التي تظهر على الأعلام والشخصيات المفاوضة.

ورغم أن قوى الاحتجاج لازالت بحاجة إلى أن تنظم نفسها أكثر، لجهة القيادة والتمويل والدعم والعلاقات الخارجية، ورغم أن تحالف الأحزاب المستبدة لم يفقد قدرته على المناورة والتلاعب لإيقاف مدّ الحركة الاحتجاجية، بيد أن المؤشرات الملحوظة تشي. بأن الأوضاع لن تبقى ساكنة على ما كانت عليه، وإن إعادة القديم إلى قدمه لم تعد ممكنة، بل ليست نافعة لإدارة الدولة، وهذا ما تدركه الأحزاب نفسها، لكنها في محاولة منها لكسب الوقت بالمماطلة وكسر صمود الاحتجاج، استخدمت كل الأساليب لإخماد هذا الحراك الجماهيري الكبير، الذي استهدف سلطتها ونفوذها وقوتها.

ومن هنا لنا أن نستنتج ونقول بأن إعادة تشكيل البنية السياسية وتركيبه النظام السياسي ستحصل ولو بعد حين، ولن تبقى كما كانت عليه واقعة تحت سطوة أقلية حزبية منغلقة، مارست كل اساليب اللصوصية السياسية، فجبرت مكتسبات السلطة لصالحها وحدها، وأغلقت المنافذ بوجه بقية القوى الاجتماعية من مشاركتها⁴⁹. ومن ثمّ فلم يعد أمام تلك الأحزاب الماسكة بالسلطة إلا الاستجابة للإرادة الشعبية، وإجراء تعديلات على نهجها وفكرها وقيادتها، وبما يسمح للقوى الاجتماعية المستندة لحراك جماهيري فاعل بالمشاركة والتعبير عن نفسها ضمن سياق عراقي وطني.

⁴⁹ محمد حلمي عبد الوهاب النهوض العاشر: الإصلاح والتجديد في الأزمنة الحديثة، المشارب والتجارب، مصدر سبق ذكره، ص 55.

سادساً: خصائص الحراك الشعبي في العراق

على الرغم من تجدد الحراك الشعبي في ساحة التحرير في بغداد في 25 أيار (مايو) 2021، وتصاعده في محافظة ذي قار (الناصرية)، جنوب العراق، إلا أن الحكومة والفصائل المسماة إعلامياً بـ"الولائية"، لازالت تملك من القوة المادية والعسكرية، ما يمكنها من الصمود والمطاوله والوقوف بوجه أي حركة شعبية، وهو ما برز في الاسلوب العنيف الذي مارسته قوات الأمن وعناصر أخرى من الفصائل ضد المحتجين في ساحة التحرير، وضد محتجي الناصرية، والذي نتج عن قتل عشرات المتظاهرين وجرح مئات منهم. ويحاجج بعض المحللين للشأن العراقي، أن مطالب اسقاط العملية السياسية التي يبتغيها المحتجون، لازالت تتقاطع مع رغبات وتطلعات فئات مهمة من الشعب العراقي، ترى أن حق التظاهر مكفول دستورياً، ومن ثم لا يحق للمتظاهرين ادخال البلاد في متاهة الحرب الاهلية والفوضى وخسارة المكتسبات السياسية التي حصلت بعد 2003، في حين يرى آخرون ان مطالب اسقاط العملية السياسية بالقوة، انما تعبر عن احباط كبير لدى الشباب المنتفض من جدوى أي اصلاح لبنية النظام، الذي اعتاش على الطائفية والمحاصصة، ولازال صلباً في الدفاع عن مكتسباته، بعيداً عن المصالح العليا للشعب العراقي. وبين الرأي القائل بالتغيير الثوري والقائل بالتغيير السلمي ينبري المراقبون في سرد جملة من الخصائص، التي اتسم بها الحراك الجماهيري المستمر في العراق، والتي تظهره بالمحصلة بخصائص تقترب من الخصائص التي باتت تتسم بها الحركات الشعبية، والتي تتسم بعضها بالعقلانية، وبعضها الآخر بالخروج عن الواقع المألوف، وكما يأتي:

أولاً: ضعف وعدم وضوح الاهداف

اتسمت أهداف المحتجين بعدم الثباتية والاستقرار، فمع بدء الحراك الشعبي في المحافظات الجنوبية في مرحلة ما بعد هزيمة داعش في 2017، أخذت هتافات المحتجين ضد السلطة، تركز على نقص الخدمات وارتفاع مؤشرات البطالة والفقر والفساد، وكان المحتجون يطالبون بتوزيع عادل للثروة واصلاح قانون الانتخابات، والغاء الامتيازات الخاصة للسياسيين، واقرار سُلّم واحد للمرتبات يساوي بين العراقيين، فضلاً عن الدعوة لمحاكمة كبار السياسيين المتهمين بالفساد والارهاب، الا أنه مع اشتداد التظاهرات، وبدء استخدام الحكومة للعنف، ودخول اطراف غير نظامية على خط اغتيال الناشطين وقادة التظاهر، فإن مطالب ساحات التظاهر أخذت بالتغيير والتصعيد، إذ لم تعد تقتصر على الخدمات، وانما أخذت تطالب بمحاسبة قتلة المتظاهرين واستقالة الحكومة واجراء انتخابات مبكرة⁵⁰. ثم تصاعدت فيما بعد نحو الثورة على النظام السياسي، وتغيير رموزه ومؤسساته وتفاعلاته، وهو مطلب لازال غير مجمع عليه بين العراقيين، ولا يوجد له سند من أطراف اقليمية ودولية. وعليه فإن مطالب المحتجين لا تتسم بالثبات واهدافهم غير واضحة.

⁵⁰ صباح ناهي، احتجاجات تشرين بين مطالب المتظاهرين واختراقات "الولائين"، مقال صحيفة الاندبندنت البريطانية، بتاريخ 2021-5-23، شوهد بتاريخ 2021-6-20 [./https://www.independentarabia.com](https://www.independentarabia.com)

ثانياً: ضعف استدامة العمل الثوري

فعلى الرغم من الزخم الثوري الذي يتسلح به المتظاهرون، والشحن المعنوي الكبير الذي استمدوه من تضامنهم وتنسيقهم العالي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وقوة الشعارات التي رفعوها، ودعم قطاعات مهنية واجتماعية لهم⁵¹، إلا أن مظاهرتهم اتسمت بعدم الاستدامة، حيث تعرضت لانتكاسات في التمويل والتنظيم، مما أضعف استمرارية ضغطها على الحكومة لتنفيذ مطالبها، وهذا الضعف في الاستدامة مكن السلطة من التسوية في الاستجابة لمطالب المحتجين، ومكن الاطراف الاخرى من الجماعات المسلحة، من استهداف ناشطي ساحات التظاهر وقتلهم وخطفهم وتفريق شملهم.

ثالثاً: عدم وجود قيادة موحدة للتظاهر

إن من اهم عوامل تحقيق الهدف لأي حركة سياسية، هي قوة القيادة ووحدتها وانسجامها، فالقيادة هي بمثابة الرأس من الجسد، فإذا صلح الرأس صلح الجسد، وإذا فسد الرأس انهار الجسد وتحلل⁵²، واشكالية الاحتجاجات المتواصلة في العراق، انها بلا قيادة سياسية تقودها وتوجهها، وهذا دفع إلى غموض فيمن يوجه المظاهرات ويتحكم في مسارها، وأوجد صعوبة في التفاوض بين الحكومة والمحتجين، وكثيراً ما حاجج

⁵¹ شعارات وطنية كبيرة رفعها المتظاهرون، تعبر عن مستوى عالي بحق التظاهر وسلميته واهدافه، منها شعار (نريد وطن) وشعار (نازل اخذ حق) وشعار (ارحلوا) وشعار (جيل البويجي) الذي أصبح له مدلوله الخاص والذال على قدرة الجيل الجديد (جيل البويجي) على صناعة التغيير وتجاوز الخوف والتهديدات التي تضعها السلطة والجماعات المسلحة الموالية لها. حول تلك الشعارات انظر: هشام الهاشمي، مظاهرات تشرين في العراق: الاسباب والتداعيات، تقرير، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، بلا تاريخ ص 9.

⁵² مجد علي الصلابي، فقه النصر والتمكين في القران الكريم، ط2(بيروت: دار المعرفة 2005)، ص 236.

المسؤولون الحكوميون الذين ذهبوا للتفاوض في ساحات الاعتصام، من ان التظاهرات تفتقد لقيادات حقيقية يمكن الاستماع لها وتلبية مطالبها، ومما يؤخذ على ساحات التظاهر انها أفرزت شخصيات انتهازية، ادعت القيادة وخرجت على شاشات التلفاز تتحدث باسم المتظاهرين، واذا بها في النهاية تخضع لمغريات السلطة، وعروض الحكومة في التعيين كمستشارين وموظفين كبار في الحكومة، كما ان مما يؤخذ على بعض الشخصيات القوية التي أفرزتها التظاهرات، إنها متسرعة وتتحرك بلا رؤية أمنية مما عرضها للتصفية والاعتقال والاعتقال من قبل مناوئها.

رابعاً: عدم وجود تنظيم سياسي للمتظاهرين

لاشك ان هدف كل حركة احتجاج سياسي هي الوصول إلى السلطة، وازاحة من فشلوا في تلبية احتياجات ومطالب الشعب، وعليه فإن وجود حزب أو تنظيم سياسي، هو الضمانة الأنجع لتحقيق المطالب بطرق دستورية، بعيداً عن فوضى استخدام السلاح للوصول إلى السلطة، ومما يؤشر على المتظاهرين افتقادهم لتنظيم سياسي يمثل مطالبهم، ويكون بمثابة الاداة التي تمكنهم من بلوغ للسلطة او المشاركة فيها بطرق دستورية⁵³، ومع ان المتظاهرين يُعيبون الاحزاب السياسية المشتركة في العملية السياسية، ويعتبرونها بوابة للفساد والخراب⁵⁴، إلا ان منتقديهم يؤكدون ان افتقاد

⁵³ هشام الهاشمي، تظاهرات العراق: سلوك اجتماعي لتغيير سلوك النظام، مقال، مركز الجزيرة للدراسات بتاريخ 15-10-2019، شوهد في 21-6-2021 في <https://www.aljazeera.net>.

⁵⁴ ان ما ظهر من تنظيم سياسي باسم (امتداد) شارك في الانتخابات يقوده ابن الناصرية د.علاء الركابي فاز بـ 13 مقعد ما هو الا تنظيم يمكن القول انه متمرد على التشرييين الرافضين للعملية السياسية والمقاطعين لها والداعين لازالتها.

المتظاهرين لحزب سياسي يحقق اهدافهم، عبر المشاركة الجماهيرية يفقدهم قدرة ايصال مطالبهم وتحقيقها، لاسيما في ظل اصرار القوى السياسية الابقاء على النظام السياسي الحالي، كطريق وحيد للتمثيل السياسي بعيداً عن لغة الاقصاء التي يطالب بها المحتجون.

خامساً: ضعف الدعم الدولي والاقليمي

ان أي محاولة تغيير سياسي أو قيام حركة سياسية او عسكرية، ستكون ضعيفة النتائج ما لم تحظى في واقعنا المعاصر بدعم وتأييد سياسي واعلامي من المجتمع الدولي، وإحدى اشكالات واقع الاحتجاج الشعبي في العراق، انه لا يحظى بأي دعم دولي، بسبب تضارب الاجندات الدولية في العراق، فرغم ان الخارجية الامريكية ومفوضية الاتحاد الاوربي والامم المتحدة أعلنوا تأييدهم لحق الشعب العراقي في التظاهر، وذكروا الحكومة العراقية بمسؤوليتها في حماية المتظاهرين ومنع استهدافهم⁵⁵، إلا أن الواضح أن علامات التأييد لم تكن أكثر من بيانات خالية من أي مضمون حقيقي للتحرك، باتجاه منع الحكومة العراقية والجماعات المسلحة من استهداف وقتل المتظاهرين. وفي الوقت الذي صممت الخارجية التركية عن إبداء أي موقف مؤيد او معارض للمتظاهرين، فإن وسائل إعلام محسوبة على إيران استنفرت كل قواها للوقوف بوجه المتظاهرين، واتهامهم بأنهم ادوات بيد قوى الاستكبار العالمي لتخريب العملية السياسية في العراق، وازاحة القوى السياسية الصديقة للجمهورية الاسلامية، وهكذا فإن صممت المجتمع الدولي قد افقد التظاهرات صداها الدولي والاقليمي، وشكل

⁵⁵ برنامج الامم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، المظاهرات في العراق، تقرير عن حقوق الانسان في العراق، (بغداد 2019)، ص 6.

عاملاً مساعداً للقوى المناوئة لإحباطها، وتصفية ناشطيها دون مسؤولية قانونية او محاسبة دولية.

سادساً: انعزال النخب المثقفة عن تأييد الاحتجاجات

لقد ذكرنا أن من علامات التأييد للاحتجاجات الشعبية في العراق، هي مشاركة فئات اجتماعية وشعبية من محافظات أخرى في غرب العراق وشماله، لكن ما يؤخذ على التظاهرات، إنها لم تستطع استقطاب النخب والكفاءات الفكرية والاكاديمية، والتي ظلت في موقف المتفرج او اللامبالاة ازاء تطور حركة الاحتجاج الشعبي، وازاء ممارسات السلطة والجماعات المسلحة الموالية لها حيال قادتها ونشطاءها، ولاشك ان ذلك لا يمكن ان يعزى لضعف صدى الثورة وتراجع الثوار عن مطالبهم، وانما إلى تفكك الطبقة الوسطى في العراق، وانقسامها وتشردمها وتراجعها عن اداء الدور السياسي والاجتماعي المنوط بها⁵⁶، إذ ان كثيراً من النخب الفكرية والاكاديمية قد غادرت العراق، بسبب الظروف السياسية والاقتصادية، وكثيرون آثروا النأي بأنفسهم عن أي موقف سياسي يعرضهم للتصفية، والإبعاد القسري وقطع ارزاقهم، وهو ما أثر اجمالاً على ضعف دور الطبقة الوسطى وموقفها من الاحتجاجات الشعبية المستمرة في العراق.

⁵⁶ دهام مجد العزاوي، الطبقة الوسطى ودورها في الوحدة الوطنية: قراءة نقدية لمرحلة ما بعد سقوط صدام حسين، مجلة العلوم السياسية، العدد 58، (جامعة النهرين 2019)، ص 89.

سابعاً: استمرار تحالف الاحزاب الاوليارشية

إذ رغم شدة التقاطعات العقائدية والاختلافات والانقسامات بين الكتل والقوى السياسية وسقوط بعض الاحزاب والشخصيات السياسية في انتخابات تشرين اول أكتوبر 2021، الا أن هناك اتفاق سياسي ضمني مشفوع بتأييد اقليمي ودولي، على بقاء هذه الكتل والقوى السياسية تحكم العراق، بطريقة التمثيل المكوناتي أو ما يُسمى المحاصصة الطائفية والقومية بين الاحزاب الشيعية والكردية والسنية، ورغم تبدل الوجوه، وامتلاك الكثير من تلك الاحزاب أذرعاً مسلحة لفرض قراراتها وتوجهاتها على بعضها البعض، الا ان محصلة أي انتخابات تكون مدعاة لجلوس مطوّل وتفاوض ممل لتقاسم المناصب الحكومية⁵⁷. وعليه فإن تلك الاحزاب والقوى السياسية التي تحكم العراق، يوجد بينها اتفاق ضمني على ضرورة الاستماتة في الدفاع عن مصالحها السياسية المكتسبة بعد 2003، وإن أي خلافات سياسية بينية يجب ان تُنحى جانباً، ازاء محاولات اغتصاب السلطة من اطراف خارج العملية السياسية، ولعل هذا يفسّر جانباً من اسباب ركون السلطة إلى العنف المفرط ضد المحتجين، بل واتهامها باستعانتها بجماعات مسلحة خارج السلطة، لزيادة ضغطها وعنفها ضد المتظاهرين دون الاكتراث بأعداد الضحايا ولا معاناة عوائلهم الانسانية.

⁵⁷ الأولىغارشية".. وصفة لاستمرار الأحزاب السياسية في العمل، مقال مترجم، صحيفة الاستقلال بتاريخ 2021-5-15. شوهد بتاريخ 2021-6-15 في

ثامناً: العودة إلى المركزية وضرب الديمقراطية

لعل أكثر القضايا التي أخذ مراقبو الاحتجاجات بطرحها، هي المناداة بإزالة العملية السياسية، وتغيير رموزها ونتائجها والعودة إلى الدولة المركزية، والغاء الفيدرالية واللامركزية الادارية، التي أقرها الدستور لإقليم كردستان والمحافظات العربية في العراق⁵⁸، ما يعني التمهيد لتغيير طبيعة النظام السياسي من نظام برلماني إلى نظام رئاسي، وربما حلّ البرلمان واعلان حالة الطوارئ، فضلاً عن ان التفريط بالمكتسبات الدستورية التي أقرت الفيدرالية واللامركزية، وما تعنيه من حرية رأي وتوزيع عادل للموارد واستثمار أمثل لثروات المحافظات لتنمية وتطوير مجتمعاتها المحلية، يعني ببساطة العودة للحكم المركزي، وفردية القرارات واختيار ممثلي المحافظات بإرادة مركزية بعيداً عن ارادة الناخبين، وهذا يعيد العراقيين إلى دورة جديدة من المركزية، التي ربما تجلب حاكماً دكتاتورياً جديداً، يوغل في تنفيذ سياسات فردية، ترجع العراق إلى عهد الاستبداد والدكتاتورية⁵⁹. ان فصل الخطاب في هذا الامر، هو الارتكاز إلى صناديق الاقتراع، وتغيير وعي المواطن بضرورة انتخاب الكفاء من الشخصيات الوطنية، واختيار شخص يتمتع بصفات القوة

⁵⁸ نتيجة الضغط الذي ولّده المظاهرات على الطبقة السياسية، فقد أصدر مجلس النواب العراقي في 28 تشرين الأول/أكتوبر 2019، قراراً بحل مجالس المحافظات عدا اقليم كردستان، وكذلك حل المجالس البلدية المصغرة في الاقضية والنواحي، وخول المجلس المحافظين بإدارة الأمور المالية والإدارية في المحافظات، وقد دعمت المحكمة الاتحادية العليا في 2 أيار/مايو 2021، قرار مجلس النواب الخاص بحلّ مجالس المحافظات، ولكنها أقرت بحق الاقاليم والمحافظات والاقضية بتشكيل مجالسها المحلية بموجب المادة 116 والمادة 122 من الدستور والتي أقرت النظام الفيدرالي واللامركزية للعراق بدلاً عن النظام المركزي الذي ساد طوال عقود خلت. للمزيد انظر: د. دهام مجد العزاوي، المانيا والعراق: مسارات الهوية واللامركزية والفيدرالية، (عمان: دار امنة، 2021)، ص 255.

⁵⁹ تارا عمر مجد، اشكاليات الانتقال إلى الديمقراطية في العراق بعد 2003، (القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع 2021)، ص 496.

والوطنية والرؤية التنموية، التي تعينه على تصحيح الاوضاع وتحقيق الاجماع الوطني والاستقرار الامني والسياسي.

تاسعاً: انقسام محتجّي الداخل ومؤيدي الخارج

لاشك ان الاحتجاجات الشعبية في العراق، التي بدأت بمطالب مشروعة وخروج الشباب الثائر، انما كانت لسوء الاوضاع السياسية والاقتصادية، واستئثار الاحزاب بالقرار السياسي، بعيداً عن أي توجهات ديمقراطية تخدم تقدم البلد ونموه، ومن ثمّ فهي مظاهرات تعبّر عن حاجة داخلية لتصحيح الاوضاع، ولطالما أعلنت تنسيقيات المظاهرات في مناسبات متعددة، إن ما طرحه مراكز البحث الغربية والامريكية بشأن الاحتجاجات الشبابية في العراق، لا يمت لها بصلة حقيقية، وان طابور الاعلاميين والسياسيين المعارضين للعملية السياسية والمؤيدين للاحتجاجات، لا يمثلون إلا انفسهم، وبالتالي فإن الاحتجاجات لا تتلقى أي دعم مادي او معنوي من أي طرف دولي واقليمي. ان ضعف التنسيق واحياناً التقاطع بين المحتجين ومؤيديهم، من سياسيي الخارج وإعلاميهم شكّل أحد ملامح حركة الاحتجاج الشعبي، ولعل محاولة المحتجين ابعاد التظاهرات عن شبهة الارتباط بالخارج، كانت سبباً في هذه القطيعة، فضلاً عن أن محاولات بعض السياسيين والاعلاميين، ركوب موجة الاحتجاجات واكتساب شرعيتها، قد استفز مشاعر المتظاهرين، وأحدث قطيعة اعلامية وسياسية، مع مؤيدي الاحتجاجات في الخارج مما أضعف صدهاها الدولي.

سابعاً: مشاهد ما بعد الحراك

لازال الحراك الشعبي في العراق مستمراً ومتقدماً في نفوس الشباب، رغم العنف المفرط المستخدم من قبل السلطة ضد ناشطي ومنسقي الحراك، وواقع العراق يشي- بالكثير من المفاجئات والمشاهد، التي قد تؤثر سلباً او ايجاباً في استمرارية الحراك وتصاعده لبلوغ غاياته، أو اخماده وانهاؤه وتمهيد الطريق لمزيد من الاستبداد وعدم الاستقرار السياسي. وفي الحقيقة لا يمكن لأي باحث سياسي ان يتكهن بخيار او مشهد يمكن ان يؤول اليه حال العراق، وبالتالي لابد ووفقاً لمنهج الدراسات المستقبلية، ان نبني مشاهد او احتمالات يمكن ان يستقر عليها واقع الاحتجاجات المتواصلة في العراق وعلى النحو الآتي:

(1): مشهد الاستمرارية والتصعيد

ان هذا المشهد يتماهى مع تمتع السلطة في الاستجابة لمطالب المحتجين، وكشف الجهات التي قتلتهم واختطفتهم وتقديم الجناة للمحاكمة، وحلّ الفصائل المسلحة وتعديل قانون الانتخابات، بما لا يسمح للأحزاب والشخصيات المشتبه بفسادها وبمشاريعها الضيقة ان تصل إلى السلطة مرة أخرى، فضلاً عن العمل على تأسيس نظام ودولة مدنية، تحترم حقوق جميع العراقيين، وهذا المشهد يجد حظوظه كذلك في تلكؤ حكومة السيد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي بإجراء الاصلاحات التي وعدت المحتجين بإجرائها، وكانت سبباً في استقالة حكومة عادل عبد المهدي في كانون الأول (ديسمبر) 2019، وأهمها كشف الجهات التي تقف وراء عمليات قتل واختفاء الناشطين المدنيين امام الرأي العام، فمنذ ان انطلقت الاحتجاجات الكبرى في بغداد في 25 تشرين الأول (أكتوبر) 2019، ومروراً بعودتها في ساحة التحرير ببغداد في أيار (مايو) 2021، سقط مئات القتلى

وأصيب آلاف المحتجين الشباب، وتم تغييب العشرات من ناشطي الحراك في بغداد ومحافظات الوسط والجنوب، وتعرض المختطفون إلى عمليات تعذيب وحشية وانتزعت منهم اعترافات كاذبة، وأجبر الكثيرون منهم على مغادرة العراق. وتؤكد تقارير نشرتها مفوضية الامم المتحدة السامية لحقوق الانسان، ان عمليات قتل المتظاهرين وتغييبهم ظلّت ملازمة لساحات الاحتجاج الشعبي منذ انطلاقتها في تشرين الأول (أكتوبر) 2019، حيث تلقت المفوضية تقارير موثوقة عن عشرات حوادث القتل والملاحقة، والتفجير بعبوات ناسفة وعمليات إطلاق نار تعرض لها ناشطون في الحراك الشعبي، في بغداد والديوانية وكربلاء والنجف والبصرة والناصرية⁶⁰. وحسب عضو مفوضية حقوق الانسان السابق في العراق، علي البياتي فإن الاحتجاجات في ساحة التحرير في ايار 2021، شهدت مقتل العديد من المتظاهرين وجرح العشرات وان اجراءات حماية المتظاهرين اتسمت بالضعف⁶¹.

ان مشهد استخدام العنف والقسوة لتفريق المتظاهرين، وملاحقتهم والتضييق على عوائلهم لازال مستمراً، ولا يخفى على المتابعين ان المواجهات بين المحتجين وقوات الامن ومسلحي الاحزاب قد أسفرت عن حرق مقرات حكومية وحزبية، واحراق صور لرموز دينية⁶²، وهو ما صعد من ردود

⁶⁰ المفوضية السامية لحقوق الانسان: قلق من استمرار ملاحقة وقتل نشطاء حقوقيين في العراق، تقرير، موقع اخبار الامم المتحدة بتاريخ 2019-12-20 شوهد بتاريخ 17-6-2021 في <https://news.un.org/>

⁶¹ العراق... قتلى وجرحى من المتظاهرين في مظاهرات (من قتلى)، تقرير، الاذاعة الالمانية العربية، بتاريخ 2021-5-25، شوهد بتاريخ 17-6-2021 في <https://www.dw.com/>

⁶² لا يمكن التيقن بأن المظاهرات كانت خالية من المندسين، فقد ألقى قوات حفظ النظام القبض على عدد من المتظاهرين الذين يستخدمون اسلحة جارية لقتل المتظاهرين واتهام القوات الأمنية. انظر: الجيش العراقي: مندسون يقتلون المتظاهرين

فعل القوات الامنية وبعض الفصائل، حيث قام افرادها بملاحقة الناشطين، واطلاق الرصاص الحي واحراق خيم المتظاهرين⁶³، مع إفلات واضح من العقاب وتعطيل لأي ملاحقة قانونية من قبل الجهات القضائية⁶⁴، إذ بالرغم من اعلان الحكومة عن تشكيل عشرات اللجان التحقيقية، في حوادث الاغتيال والقتل والتفجير، إلا انه لم تظهر إلى الرأي العام نتائج أي من لجان التحقيق تلك. رغم أن رئيس الوزراء الكاظمي، قد وعد في أكثر من مناسبة وأمام المسؤولين الأمنيين ووسائل الاعلام، بأن الجناة لن يفلتوا من العدالة وأنه سيكشفهم ويقدمهم للمحاكمة، إلا إن جزءاً من وعوده لم تكن أكثر من حبر على ورق، حسب وصف منظمة العفو الدولية⁶⁵. وتبرز قضية اغتيال الناشط والباحث في شؤون الارهاب هشام الهاشمي في 6 تموز (يوليو) 2020، كأبرز قضية ومثال للتسويق الحكومي، بكشف قتلته حيث توعد رئيس الوزراء بملاحقة قتلة الهاشمي، واعداء عائلته بأنه سيكون ولي الدم ويقتص من الجناة، إلا أن الضغوط السياسية من جهات خارجة عن القانون منعت ذلك، وهذا ما حصل أيضاً في

لاتهام الأمن، تقرير، العربية نت بتاريخ 2020-1-23، شوهده بتاريخ 2021-6-18
/https://www.alarabiya.net/

⁶³ مظاهرات العراق: قتلى وجرحى في هجوم على المحتجين في النجف، تقرير، موقع بي بي سي العربي بتاريخ 2020-2-5، شوهده في بتاريخ 2021-6-17

https://www.bbc.com/

⁶⁴ لعل أبرز مثال للإفلات من العقاب هو اعتقال إحدى القيادات العسكرية بتهمة اغتيال الناشط المدني ايهاب الوزني، حيث تم اطلاق سراحه بعد عدة أيام لعدم كفاية الادلة. وحسب وكالة فرانس برس فإن ذلك قد تم بموجب تسوية سياسية بين الحكومة وبعض الفصائل، مدفوعة بطلب إيراني عاجل للتهديئة. وقالت مصادر مقربة من تلك الجهات إن "التسوية فرضت عليها التوقف تماماً عن اقتحام القصور والمنشآت الحكومية، مقابل تراجع رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي عن استهداف القيادات الكبيرة. انظر وكالة فرانس برس: ضغوط مورست على القضاء للإفراج عن قاسم مصلح، تقرير، شوهده بتاريخ 2021-6-16

https://www.alarabiya.net/. في 2021-6

⁶⁵ شفق نيوز، منظمة دولية تهاجم.. وعود الكاظمي ليست سوى حبر على ورق، تقرير اخباري بتاريخ 2020-10-1 شوهده بتاريخ 2021-6-18 في /https://shafaq.com

قضية خطف وقتل الناشط المدني في الناصرية سجاد العراقي، والناشط ايهاب الوزني في محافظة كربلاء. وتظهر عملية تشكيل لجان تحقيقية حكومية، مدى الحرج الذي تشعر به الحكومة في الكشف عن الفواعل الحقيقيين لعمليات الخطف والقتل للناشطين⁶⁶.

ان استمرار صمت الحكومة حيال ما يتعرض له المحتجون والناشطون، من قمع وتصفيات وملاحقة من جانب الحكومة والجماعات المسلحة، سيدفع المحتجين بلا شك للاستمرار في تظاهراتهم، واستغلال أي فرصة مواتية لتصعيد خطابهم التحريضي. ضد سياسات الحكومة، دفاعاً عن ثورتهم وتحقيقاً لمطالبهم وهو ما يفتح الواقع السياسي في العراق، أمام احتمالات مرتبكة ونهايات مفتوحة قد تنتهي بثورة كبرى تطيح بكل رموز العملية السياسية، وولادة واقع سياسي جديد لا يعرف شكله ولا هيكلته ولا شخصه ولا طبيعته أو علاقاته، وربما يفتح الواقع الجديد باب المطالبة بالتقسيم، ولاسيما من قبل الاحزاب الكردية التي وبلا شك ستخسر امتيازاتها القومية، التي حصلت عليها منذ 2003، كما سيمهد لقيادات سنية معارضة العودة إلى العراق، والمطالبة بمعادلة سياسية جديدة للسنة، تعيد إليهم بعض حقوقهم المغيبة، وفي مقدمتها الاستقلال بأقاليم فيدرالية تبعد عنهم التهميش والاقصاء الذي عانوه من

⁶⁶ ان عجز الحكومة عن وقف عمليات القتل ضد الناشطين والافصاح عن القتلة الحقيقيين للناشطين، انما يأتي بسبب اختراق الاجهزة الامنية ووحدات الجيش من قبل ضباط ينتمون للأحزاب والجماعات المسلحة، وهؤلاء يشكلون حاجزاً امام أي تحقيق نزيه للوصول إلى حقيقة من يقف وراء قتل المتظاهرين، وقد عجزت حكومات السيد حيدر العبادي والسيد عادل عبد المهدي والحكومة الحالية برئاسة السيد مصطفى الكاظمي عن وقف التصاعد الكبير في نفوذ بعض الفصائل وسيطرتها على مفاصل الدولة العراقية. انظر مركز الجزيرة للدراسات، دويلات داخل الدولة: تحدي الكاظمي في السيطرة على الفصائل الشيعية المسلحة، تقدير موقف، بتاريخ 19-7-2020، شوهد بتاريخ 17-6-2021

الحكومات السابقة. ان مشهد التصعيد وان كان يُبقي جذوة التغيير للنخبة السياسية حاضراً في نفوس المحتجين، الا ان نهاياته حسب مراقبين تتسم بالمخاطرة وبمشاهد غير مضمونة النتائج لمستقبل العراق.

(2): مشهد الاخاماد والانهاء

وهذا المشهد قابل للتحقيق، في ظل الإنهاك الذي أصاب المحتجين بسبب طول مدة الاحتجاج، وعمليات الاستهداف المنظم للناشطين، من قبل قوات الامن والاطراف المتعاونة معها، إضافة إلى نقص التمويل والدعم الداخلي، الذي تلقاه المحتجون من فئات اجتماعية وقطاعية واسعة من الشعب العراقي، واللامبالاة التي أصابت قطاعات وفئات اجتماعية اخرى، من طول مدة الاحتجاجات والتي عطلت مصالح فئات كبيرة من المجتمع، تضررت بسبب قطع الطرق وفرض حظر التجوال، ومماثلة الحكومة في الاستجابة لمطالب المحتجين، إذ أن لغة التسويق والمماثلة باتت ملازمة للخطاب الحكومي، حتى ان اعلانات تشكيل اللجان التحقيقية، باتت محل تهكم وتندر من قبل الشعب، وباتت توصف بأنها وعود مماثلة أو وعود إعلامية.

وللحقيقة فإن المماثلة الحكومية، لا تنبع من رغبة رئيس الوزراء، أو المسؤولين الامنيين في تجاهل مطالب المحتجين، وانما لأن طبيعة تشكيل الحكومات في العراق منذ 2003، اقتضت انتهاج اسلوب الترضية والتواصي المتبادل بين شركاء الحكومة الحزبيين، ومن ينظر إلى طبيعة وظروف تشكيل الحكومات العراقية، يجد أن رئيس الوزراء، ورغم ما يمتلكه من صلاحيات دستورية، الا انه في واقع الأمر منزوع الصلاحيات، حيث أن القرارات الاستراتيجية، يصوغها زعماء الاحزاب والكتل

المشكلة للحكومة، وأي قرار انفرادي لرئيس الوزراء، سيواجه بعاصفة شديدة من الرفض من زعماء الاحزاب، اذا تعارضت مع مصالحهم، وغالباً ما يتم اجتماع زعماء الكتل مع رئيس الوزراء والأملاء عليه بالسياسة التي تتوافق مع مصالحهم⁶⁷. أضف إلى ذلك أن تشكيل وصياغة السياسة العامة، بات محكوماً وبقوة بتأثير طرف ثالث، وهم قادة الجماعات المسلحة المتسترة تحت غطاء أحد أجنحة القوات الأمنية، والتي يعلن بعضها ارتباطه المباشر بمرجعية خارج الحدود⁶⁸، وهذه الجماعات تؤمن بالعنف لتحقيق الغايات، وبالتهديد لإرضاخ المجتمع، وتدعي أنها محمية بفتوى الجهاد الكفائي، التي أعلنها المرجع الديني الشيعي الاعلى السيد علي السيستاني، والتي تشكل على أساسها الحشد الشعبي في 13 حزيران (يونيو) 2014، لمقاتلة تنظيم داعش⁶⁹. وقد بات لهم دور مؤثر في صناعة القرار الحكومي. ويشير قادة تلك الجماعات إلى أن مشروعيتهم السياسية مكتسبة بقوة فتوى الجهاد الكفائي، للدفاع عن الوطن والدين، كما أن مشروعيتهم مكفولة بقوة السلاح الجهادي، الذي قارع ارهاب داعش وأعاد تحرير ثلثي الاراضي العراقية، التي استباحها التنظيم المتطرف، وبالتالي فلا يحق لأحد من المتظاهرين وغيرهم، أن ينتقد سلاح المقاومة، ولا يمس بحقهم في السلطة. ان هذا التفسير القسري لأحقية المشاركة في السلطة يمنع أي صوت نقدي أو رأي احتجاجي، ويعطي الشرعية حسب منظورها، لتبرير استخدام العنف ضد المحتجين، باعتبارهم

⁶⁷ نعم مجد صالح، المرجع نفسه، ص 67.

⁶⁸ سجاد تقي كاظم، قادة الحشد الشعبي.. الوحيدون يجهرون بولائهم لدولة أجنبية، مقال، ميدل ايست اونلاين بتاريخ 15-4-2019، شوهد بتاريخ 17-6-2021
<https://middle-east-online.com/>

⁶⁹ طه العاني، 7 أعوام على تأسيس الحشد الشعبي بالعراق ولا يزال الجدل قائما حوله، مقال، الجزيرة نت بتاريخ 13-6-2021، شوهدت بتاريخ 17-6-2021 في
<https://www.aljazeera.net/>

خارجين عن القانون، ومندسين ومن بقايا المنتمين لحزب البعث، وغيرها من التوصيفات⁷⁰، وهذا ما يبرر في جزء كبير منه، العنف المفرط الذي أستخدم ضد المحتجين، وفي خطف الناشطين وترهيب عوائلهم، كونهم جزءاً من مخطط استخباري عالمي، يتآمر على العراق حسب وصف أحد قادة الفصائل⁷¹.

ان اصرار بعض المنتمين للأحزاب والفصائل على مصادرة القرار الحكومي، واختراق الاجهزة الأمنية العراقية بعناصرها، وامتلاك أدوات القهر والاضعاع، مع ما يرافقها من قتل وملاحقة الناشطين، وخلق جو سياسي عام يقوم على تكميم الافواه، سيضعف مستقبلاً من حركة الاحتجاجات ومؤيديها، وسيمهد الطريق لإضعافها وانهاؤها، وسط اتفاق ضمني اقليمي ودولي، على استمرار تأييد العملية السياسية في العراق رغم معوقاتنا الكبيرة.

⁷⁰ من أشهر ما تم وصف المتظاهرين به من قبل القنوات الفضائية والصحف التابعة للفصائل هو وصف (الذبول) و(الجوكرية)، كناية عن ارتباط المتظاهرين بجهات اجنبية تمولهم وتحركهم لإسقاط العملية السياسية في العراق. انظر الجزيرة نت، الذبول والجوكر.. هكذا تدور الحرب الناعمة في العراق، تقرير منشور بتاريخ 13-1-2020، شوهد بتاريخ 17-6-2021 <https://www.aljazeera.net/>

⁷¹ دماء الضحايا لم تجف.. الخزعلي "يتهمكم" ويتوعد ونشطاء يردون، تقرير اخباري، موقع الحرة بتاريخ 9-12-2019، شوهد بتاريخ 17-6-2021

الخاتمة والاستنتاجات

استعرضنا في الصفحات السابقة، تطور حركة الاحتجاج الشعبي في العراق، وتبين ان سياقات تشكيلها وتطورها تقترب إلى حدٍ كبير من مفهوم الشعبوية، الذي غزى في الآونة الاخيرة قاموس العلوم السياسية والاجتماعية، باعتباره تعبيراً عن حالة الغضب والهيجان والعصيان، التي تعترى قطاعات شعبية واسعة في العالم ضد التقاليد السياسية القائمة، ويستهدف الإطاحة بالرموز والنخب السياسية الحاكمة. وإذا كانت حركة الاحتجاج الشعبي في العراق، قد بدأت استناداً للتوصيفات الطائفية المعتادة في العراق، سُتية الطابع في كانون اول (ديسمبر) 2012، حينما خرج سكان المحافظات السنية ضد سياسات التهميش والاقصاء، التي مارستها السلطات الحكومية، وتم قمعهم بقوة من قبل حكومة السيد نوري المالكي، فإن الأحتجاجات انتهت بانتفاضة المحافظات الشيعية، ضد ظلم السلطة ذاتها، وتجاهلها للمطالب الشعبية بتحسين الخدمات وتوفير فرص العمل وتخفيف الفقر وتحقيق التنمية، الأمر الذي يبرز أن عملية الاحتجاج، أخذت بعداً وطنياً، يتمثل في رغبة العراقيين بإقامة حكومة وطنية، ذات تمثيل شامل لكل العراقيين.

ومع توغل الحكومات المتعاقبة في نظام التمثيل المحاصصي، وافتقادها لبرنامج سياسي ينقذ البلاد من اللااستقرار، والفوضى والارهاب، وضعف مؤشرات التنمية، أخذت مشاعر الاحباط تتعمق لدى الجماهير، الأمر الذي دفعها لرفع شعار التغيير الشامل لكل رموز العملية السياسية، والعودة للأسس التقليدية التي اعتادت الدولة العراقية السير عليها، بنظام مركزي موحد، ورئيس جمهوري واحد، وحياة حزبية مقيدة، وهي مطالب تقترب من المطالب التي يرفعها أنصار

الشعبوية في مناطق مختلفة من العالم. ولعل اهم ما يمكن استنتاجه من تطور الحركة الشعبوية في العراق ما يأتي:

- انها حركة وطنية عابرة للهويات الإثنية، فرغم ان شباب الشيعة شكّلوا عمادها ووقودها، الا ان قوة وتماسك واصرار المحتجين، اكسبتهم تعاطف قطاعات عريضة من الشعب العراقي.
- أنها أحدثت تغييراً جزئياً في الواقع السياسي العراقي، عبر إجبار حكومة السيد عادل عبد المهدي على الاستقالة وتشكيل حكومة تصريف اعمال برئاسة السيد مصطفى الكاظمي، قامت تحت ضغط الاحتجاجات بخطوات لتعزيز سلطة القانون، ومحاسبة بعض رموز الفساد، وتوفير فرص عمل للعاطلين، ودعم شبكة الحماية الاجتماعية، واجراء انتخابات تشريعية في 10 تشرين الأول (أكتوبر) 2021، تمخّضت نتائجها عن تراجع كبير في مقاعد جبهة الفتح المناهضة للحراك التشريعي، وصعود قوي للمستقلين المرتبطين بقوى التغيير والحراك الشعبي.
- انها زادت من الفجوة بين الجماهير والاحزاب الحاكمة، وأظهرت زيف الشعارات التي ترفعها تلك الاحزاب دفاعاً عن الشعب ومصالحه، بعدما أظهرت تمسكها بمصالحها الضيقة على حساب المصالح العليا للشعب.
- انها أحدثت ارباكاً في واقع الفصائل، وركّزت الأضواء على ولاء عناصرها وقياداتها، كما كشفت عن قوتها الفعلية أمام قوة المتظاهرين، الذين تمكن قسم

منهم من حرق بعض المقرات وطرد عناصرها من محافظاتهم.

- انها كانت في بداياتها ونهاياتها سلمية الطابع، حيث تمسك المتظاهرون بشعار (نريد وطن)، وتحاشوا استخدام العنف، أو الرد على ممارسات القتل والخطف التي مارستها الاطراف المناوئة.

- رغم أنها لم تحقق جلّ أهدافها في تحسين الخدمات، وتخفيف الفقر ومحاربة الفساد، أو تغيير قواعد العملية السياسية في العراق، الا انها ألهمت الشباب العراقي روح التمرد والثورة على الواقع الفاسد، وهو خزين معنوي مهم، للوقوف بوجه استبداد السلطة وتعديل انحرافها.

- انها كشفت عن جيل عراقي جديد متخلص إلى حد بعيد من ادران الطائفية والعشائرية، التي لعبت على وترها الاحزاب السياسية لتغيب وعي الجماهير منذ 2003، جيل مسلح بشعارات وطنية تنحو نحو التخلص من الماضي والتطلع إلى المستقبل بدولة مدنية تحتضن جميع العراقيين.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب

- 1- باسل حسين واخرون، الديمقراطية في الحياة الداخلية للأحزاب السياسية العربية، (عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2009).
- 2- تارا عمر محمد، اشكاليات الانتقال إلى الديمقراطية في العراق بعد 2003، (القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع، 2021).
- 3- دهام محمد العزاوي، الاحتلال الأمريكي للعراق والفيدرالية الكردية، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2009).
- 4- دهام محمد العزاوي، المانيا والعراق: مسارات الهوية واللامركزية والفيدرالية، (عمان: دار امنة، 2021).
- 5- رانج علاء الدين، الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق، دراسة، (الدوحة: مركز بروكنجز 2018).
- 6- مجموعة باحثين، الشباب والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية (تحرير: عبد الفتاح ماضي وعبد ماضي)، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2019).
- 7- مجموعة باحثين، الاحتلال الأمريكي للعراق: المشهد الاخير، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007).
- 8- محمد حلمي عبد الوهاب النهوض العاشر: الإصلاح والتجديد في الأزمنة الحديثة، المشارب والتجارب، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020).
- 9- محمد علي الصلابي، فقه النصر- والتمكين في القران الكريم، ط2 (بيروت: دار المعرفة 2005).
- 10- عزمي بشارة، الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2017).

- 11- عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020).
- 12- كاس مودّه وكريستوبل روفيرا كالتواسر، مقدمة مختصرة في الشعبية، ترجمة سعيد بكار ومجد بكار، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020).
- 13- هيثم فرحان صالح، إشكالية الدولة في العالم العربي وتحول السلطة على أبواب الألفية الثالثة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2020).

البحوث العلمية:

- 1- دهام مجد العزاوي، الطبقة الوسطى ودورها في الوحدة الوطنية: قراءة نقدية لمرحلة ما بعد سقوط صدام حسين، مجلة العلوم السياسية، العدد 58، جامعة النهريين 2019
- 2- عبد الحميد الموساوي وحسام الدين علي مجيد، الشعبية في الشرق الاوسط: ماهية الخطاب وخصائصه المقارنة، مجلة العلوم السياسية، العدد 59، (جامعة بغداد 2019).
- 3- نغم مجد صالح، التعددية الحزبية في العراق في ظل غياب قانون الاحزاب، مجلة العلوم السياسية، العدد 43، جامعة بغداد 2011.
- 4- عزمي بشارة، صعود اليمين واستيراد صراع الحضارات إلى الداخل: حينما تنجب الديمقراطية نقائص الليبرالية، سياسات عربية، العدد 23، (الدوحة المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) تشرين الثاني – نوفمبر 2016.
- 5- حارث حسن، الأزمة الطائفية في العراق: إرث من الإقصاء، دراسة تحليلية مركز مالكوم كير – كارنيجي للشرق الاوسط بتاريخ 2014-4-23، شـــــــوهـد في 2021-6-14 [/https://carnegie-mec.org](https://carnegie-mec.org).

المقالات التحليلية:

1- محمد كريم الخاقاني، تجربة العدالة الانتقالية في العراق، تحليل، المركز الديمقراطي العربي، برلين بتاريخ 6-12-2017، شوهده بتاريخ 20-6-2021 في [./https://democraticac.de](https://democraticac.de)

2- سر كيس أبو زيد، الأوليغارشية الديمقراطية الفوضوية والجماهير الخائبة، مقال منشور في موقع البديل العراقي، بلا تاريخ، تاريخ الدخول 20-6-2021 [./http://www.albadeeliraq.com](http://www.albadeeliraq.com)

3- احتجاجات العراق: بين مطالب الشارع وعنف السلطة، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بتاريخ 20-10-2019.

التقارير العلمية:

1- برنامج الامم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، المظاهرات في العراق، تقرير عن حقوق الانسان في العراق، بغداد 2019.
2- خالد ابو اسماعيل واخرون، الفقر المتعدد الأبعاد، التقرير العربي (بيروت: الاسكوا، جامعة الدول العربية، اليونسيف (2017).

3- زمكان سليم، وهم تخطي الطائفية في العراق، مقال تحليلي منشور في معهد واشنطن في 20-4-2018 شوهده في 11-6-2021 [./https://www.washingtoninstitute.org](https://www.washingtoninstitute.org)

4- المفوضية السامية لحقوق الإنسان: قلق من استمرار ملاحقة وقتل نشطاء حقوقيين في العراق، تقرير، موقع اخبار الامم المتحدة بتاريخ 20-12-2019 شوهده بتاريخ 17-6-2021 في [/https://news.un.org](https://news.un.org)

5- هشام الهاشمي، مظاهرات تشرين في العراق: الاسباب والتداعيات، تقرير، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، بلا تاريخ .

المقالات الصحفية:

1- جاين دالتون، أحزاب اليمين المتطرف تُؤحد صفوفها عبر أوروبا طلباً للمزيد من القوة في الانتخابات الوشيكة، تقرير منشور في موقع اندبندنت بتاريخ 21 مايو 2019 شوهد بتاريخ 2021-6-12 في

[./https://www.independentarabia.com](https://www.independentarabia.com/)

2- دهام محمد العزاوي، فشل المأدلجون ونجح تويتر وفيسبوك، مقال، الحوار المتمدن بتاريخ 5-2-2011. شوهد بتاريخ 13-2021-6 [./https://www.ahewar.org](https://www.ahewar.org)

3- داود السلطان، علي شريعتي المفكر الثائر، مقال، الحوار المتمدن، بتاريخ 30-1-2021، شوهد بتاريخ 13-2021-6 [./https://www.ahewar.org](https://www.ahewar.org)

4- سجاد تقي كاظم، قادة الحشد الشعبي.. الوحيدون يجهرن بولائهم لدولة أجنبية، مقال، ميدل ايست اونلاين بتاريخ 15-2019-4، شوهد بتاريخ 17-2021-6- <https://middle-east-online.com>

5- صباح ناھي، احتجاجات تشرين بين مطالب المتظاهرين واختراقات اللوائين، مقال صحيفة الاندبندنت البريطانية، بتاريخ 23-5-2021، شوهد بتاريخ 20-6-2021، [./https://www.independentarabia.com](https://www.independentarabia.com)

6- عماد الشمري، ساحات الاعتصام في العراق.. أهميتها ورمزيتها، مقال، موقع الجزيرة نت بتاريخ 29-12-2019، شوهد بتاريخ 14-6-2021 في: [./https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)

- 7- حيدر نزار السيد سلمان، معركة الإزاحة الشعبية ضد الأوليغارشية الحزبية، المدى، 29-2-2020.
- 8- مصطفى محمد غريب، أحزاب الإسلام السياسي فشل البرامج.. فشل التجربة، مقال، ميدل إيست أونلاين في 12-7-2021، شـــــوهد في 20-6-2021 في <https://middle-east-online.com>.
- 9- غفران يونس، مطالب المحتجين العراقيين... من الإصلاح إلى الإسقاط، تقرير، صحيفة الاندبندت البريطانية بتاريخ 15-11-2019 شوهد بتاريخ 10-6-2021، [./https://www.independentarabia.com](https://www.independentarabia.com)
- 10- طه العاني، 7 أعوام على تأسيس الحشد الشعبي بالعراق ولا يزال الجدل قائما حوله، مقال، الجزيرة نت بتاريخ 13-6-2021، شـــــوهدت بتاريخ 17-6-2021 في [./https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)
- 11- لاهاي عبد الحسين، أزمة اليسار العراقي، المدى في 23-6-2018.
- 12- هشام الهاشمي، تظاهرات العراق: سلوك اجتماعي لتغيير سلوك النظام، مقال، مركز الجزيرة للدراسات بتاريخ 15-10-2019، شـــــوهد في 21-6-2021 في <https://www.aljazeera.net>

المواقع الاليكترونية:

- 1- الأولىغارشية.. وصفة لاستمرار الأحزاب السياسية في العمل، مقال مترجم، صحيفة الاستقلال بتاريخ 15-5-2021. شوهدهت بتاريخ 15-6-2021 في [/https://www.alestiklal.net](https://www.alestiklal.net)
- 2- العراق... قتلى وجرحى من المتظاهرين في مظاهرات (من قتلى)، تقرير، الاذاعة الالمانية العربية، بتاريخ 25-5-2021، شوهدهت بتاريخ 17-6-2021 في [/https://www.dw.com](https://www.dw.com)
- 3- نيويورك تايمز: الربيع العربي ومصائر خمسة رؤساء، تقرير، موقع الجزيرة نت في 2-5-2017، شوهدهت في تاريخ 19-6-2021 [/https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)
- 4- الجيش العراقي: مندسون يقتلون المتظاهرين لاتهم الأمن، تقرير، العربية نت بتاريخ 23-1-2020، شوهدهت بتاريخ 18-6-2021 [//https://www.alarabiya.net](https://www.alarabiya.net)
- 5- مظاهرات العراق: قتلى وجرحى في هجوم على المحتجين في النجف، تقرير، موقع بي بي سي العربي بتاريخ 5-2-2020، شوهدهت في بتاريخ 17-6-2021 [/https://www.bbc.com](https://www.bbc.com)
- 6- وكالة فرانس برس: ضغوط مورست على القضاء للإفراج عن قاسم مصلح، تقرير، شوهدهت بتاريخ 16-6-2021 في. [/https://www.alarabiya.net](https://www.alarabiya.net)
- 7- شفق نيوز، منظمة دولية تهاجم وعود الكاظمي: ليست سوى حبر على ورق، تقرير اخباري بتاريخ 1-10-2020 شوهدهت بتاريخ 18-6-2021 في [/https://shafaq.com](https://shafaq.com)
- 8- تحدي الكاظمي في السيطرة على الفصائل الشيعية المسلحة، تقدير موقف، بتاريخ 19-7-2020، شوهدهت بتاريخ 17-6-2021 [/https://studies.aljazeera.net](https://studies.aljazeera.net)
- 9- شريف مراد، الشعبوية ستمتلك الزمام.. هل تتحول أوروبا لعصر الكوابيس؟ مقال، لجزيرة نت بتاريخ 9/7/2020

- شهد بتاريخ 16-6-2021 في
[/https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)
- 10- حزب "البديل من أجل ألمانيا" المعادي للإسلام
واللاجئين: فائز أم خاسر في الانتخابات الألمانية؟ منشور في
موقع بي بي سي بتاريخ 22 سبتمبر/ أيلول 2017 شوهد في 15-
2021-6-
[./https://www.bbc.com](https://www.bbc.com)
- 11- صناعة الخوف: ارهاب اليمين المتطرف والشعبوية،
عرض كتاب، موقع مركز المسبار للدراسات والبحوث، شباط -
فبراير 2019، شوهد بتاريخ 19-6-2021 في:
[/https://www.almesbar.net](https://www.almesbar.net)
- 12- كاس مودي، صعود الشعبوية في أوروبا!، تقرير اخباري،
نون بوست بتاريخ 26-10-2016، شوهد بتاريخ 11-6-2021
في
[/https://www.noonpost.com](https://www.noonpost.com)
- 14- امريكا اللاتينية والشعبوية.. رغبات عادلة ونهايات
مأساوية، مقال، جريدة الاقتصادية، الرياض، في 15-1-2019،
شهد بتاريخ 18-6-2021 في
[./https://www.aleqt.com](https://www.aleqt.com)
- 15- هل أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في صعود التيار
الشعبي؟ مقال، موقع القرار الالكتروني في 24 أغسطس
2020 شوهد في [/https://alqarar.sa](https://alqarar.sa) بتاريخ 17-6-2021.
- 16- في عهد ترامب.. للعنصرية صوت مسموع، الوطن، بتاريخ
25-3-2018 شوهد بتاريخ 18-6-2021 <https://www.al-watan.com>
- 17- هدى الشيمي، بعد صعود "ترامب بريطانيا" .. ما هي
الشعبوية التي تجتاح العالم؟ مقال، بتاريخ 28-7-2019 شوهد
بتاريخ 15-6-2021 [/https://www.masrawy.com](https://www.masrawy.com)

- 18- الجزيرة نت، الذبول والجوكر.. هكذا تدور الحرب الناعمة في العراق، تقرير منشور بتاريخ 13-1-2020، شوهد بتاريخ /https://www.aljazeera.net 2021-6-17
- 19- دماء الضحايا لم تجف.. الخزعلي "يتهمكم" ويتوعد ونشطاء يردون، تقرير اخباري، موقع الحرة بتاريخ 9-12-2019، شوهد بتاريخ 2021-6-17 /https://www.alhurra.com

الحراك الشعبي والأوليغارشية المستبدة..

هل سيتمكن الجيل الثوري الجديد من انتاج دولة مدنية في العراق ؟



جميع الحقوق محفوظة لـ مركز الرافدين للحوار RCD
لا يجوز النسخ أو اعادة النشر من دون موافقة خطية من المركز

جمهورية العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان

جمهورية العراق - بغداد - الجادرية - تقاطع ساحة الحرية

www.alrafidaincenter.com

info@alrafidaincenter.com

00964782622246

ص.ب. 252

